في أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي

الدكتور نصرت عبد الرحمن
الجامعة الأردنية

غسان

ثمة حارثان من غسان يَرِدان في الشعر الجاهلي، ويَرِدُ أحدُهما متّصلاً به أميران: النعمان وعمرو. وقمينٌ بدارس ذلك الشعر أن يستجليَ أخبار أولئك الأمراء في كتب المؤرخين والأخباريين، حتى يلتئم جناحا الأدب والتاريخ، فيرفدُ الأدب التاريخ، ويُعطي التاريخ للأدب إطارا زمانيا محدَّدا، على الرغم من تفلُّت الأدب من التحديد الزمنيّ.

والحوارث من غسان عند اليعقوبيّ ستة: الحارث بن مالك، والحارث الأعرج، والحارث الأصغر، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن أبي شَمِر بن الأيهم[1]؛ وهم خمسة عند أبي الفِداء[2] والأصبهانّي[3]: الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأيهَم، والحارث بن حُجْر، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث. وهم أربعة عند ابن

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي (دار العراق، بيروت، ١٩٥٥)، ١: ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (دار المعرفة، بيروت)، ١: ٧٢ - ٧٣.

(٣) الأصبهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص ٩٨ - ١٠٤.

الأنباريّ[1] وابن الكلبيّ[2]: الحارث الجَفْني، والحارث الأعرج، والحارث الأكبر، والحارث الأصغر عند المفضّل؛ والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة بن المنذر، والحارث بن أبي شَمِر عند ابن الكلبيّ. وهم ثلاثة عند ابن حبيب[3] والمسعوديّ[4] وابن خلدون[5] وابن سعيد[6] والجاحظ[7]: الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث الأعرج عند ابن حبيب وابن خلدون، والحارث بن عمرو، والحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن أبي شَمِر عند المَسْعودي، والحارث بن ثَعْلَبة، الحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأيْهَم عند ابن سعيد، والحارث الأكبر والأوسط والأصغر عند الجاحظ.

وقد درس نُولدكه «معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها وقارن الحاصل بما وجده في المورد البيزنطية»[8]، فجعل الحوارث ثلاثة: الحارث بن جَبَلَة الذي شَغَل وظيفة العامل الأكبر من سنة ٥٢٩م، وتوفي سنة ٥٦٩م، والحارث

---

(١) ابن الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد، ديوان المفضليات (تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠)، ص ٧٧٤.

(٢) ابن الكلبي، هشام ابن محمد بن السائب، جمهرة النسب (تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق؟) ٢: ٣٦٤-٣٦٧.

(٣) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية، المحبّر (تحقيق إيلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢)، ص ٣٧٢.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨)، ص ٢: ١٠٧.

(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١)، ٢: ٥٨٣.

(٦) ابن سعيد، علي بن موسى، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢)، ١: ٢٠٠-٢٠٨.

(٧) الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢)، ص ١١٠-١١١.

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (دار العلم للملايين ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦)، ٣: ٤٤٤.

الأصغر بن الحارث الأكبر، والحارث الأعرج بن الحارث الأصغر، وكانا – عند نولدكه – بين سنتي ٥٨٣م و ٦١٤م[١]. وقد اقتفى أثر نولدكه جلّ المؤرخين من العرب الذين أرخوا لغسان، ومنهم جواد علي.

وقد اقتدر نولدكه على أن يجلو الغموض الذي غلّف حياة الحارث بن أبي شَمِر، فهو الحارث بن جَبَلة «أول أمراء بني جفنة وأعظمهم شأناً»[٢]، وهو الذي «احتلّ في مخيلة العرب مركزاً سامياً، ودعوه أيضاً الحارث بن أبي شَمِر مما يدلّ على أن أباه كان يكنّى بأبي شَمِر»[٣]، وهو الذي «حارب المنذر أمير الحيرة، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨م»[٤]، وذكره بروكوبيوس Procopius في تاريخه فقال: «إن الامبراطور يوستنيان رَقّى الحارث بن جَبَلَة إلى رتبة ملك، وَبَسَطَ سُلْطته فوق قبائل عربية، وأن غرضه كان أن يُقيم خصماً قوياً في وجه المنذر، ملك عرب الفرس»[٥]. وهو صاحب يوم حليمة الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، وكان في شهر حزيران سنة ٥٥٤م[٦].

---

(١) نولدكه، ثيودور، أمراء غسان (ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣)، ص ٥٧.

(٢) نفسه، ص ٩.

(٣) نفسه، ص ٢٢.

(٤) نفسه، ص ١٠.

(٥) أمراء غسان ص ١١.

(٦) انظر: أمراء غسان، ص ١٩ – ٢٠. وانظر في الحارث بن جبلة:

Hatt, Cl., Histoire des Arabes, (2Tomes, Paris, Libraire Paul Geuthner, 1912) Tome 1, PP. 60-62.

O'Leary, Arabia Before Mohammad, (London, Kegan Paul, 1927) PP. 164-165

Hitti, Philip, History of Syria (London, Macmillan & Co LTD, 1953) PP.402 404.

وقد جعل هوار الحارث بن أبي شَمِر سابقاً الحارث بن جَبَلَة، ولم يتحدّث أوليري وفيليب حتّي عن الحارث الأعرج والحارث بن أبي شَمِر.

فنولدكه قد جلا أمرِ الحارث بن أبي شَمِر، ولكنه لم يَجْلُ أمر الحارث الأعرج، أو أن جلاءه له لا يوافق الشعر الجاهلي. لقد جعله ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر[1]، ورجّح أن يكون توليّه الامارة بين سنتي ٥٨٣م و ٦١٤م[2].

وأولُ ما يَشْغَب على نُولدكه من الشعر الجاهلي قولُ عبَيد بن الأبرص الأسدي[3]

نَحْنُ قُدْنا من أُهاضِيب المَلا الـ ـخَيْلَ في الأرْسانِ أمثالَ السَّعالي[4]
شزَّبا يَغْشَيْنَ من مَجْهُولَةٍ الـ ـأرْضِ وَعْثاً من سُهولٍ وجِبالِ[5]
فانْتَجَعْنا الحارثَ الأعرجَ في جَحْفَلٍ كالليلِ خَطَّارِ العَوالي[6]

فاذا كان عبيد بن الأبرص قد قتله المُنْذر بن ماء السّماء في قصة مشهورة، واذا كان المُنذر بن ماء السماء معاصراً للحارث بن شَمِر، بل هو قتيل الحارث في يوم حليمة في حزيران لسنة ٥٥٤م، فهذا يعني أن عبيدا قُتل قبل سنة ٥٥٤م وهي السنة التي قُتل فيها المنذر، وهذا يعني أيضاً أن عبيداً عاصر الحارث بن أبي شَمِر والمُنذر بن ماء السماء.

★ ★ ★

(١) أمراء غسان، ص٢٤.
(٢) نفسه، ص ٥٧.
(٣) ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧)، ص ١١٦.
(٤) المَلا: الصّحراء. والسَّعالي: جمع السِّعْلاة، وهي أُنثى الغُول.
(٥) الشُّزَّب: جمع الشَّازِب، وهو الضامِرُ اليابس. ويَغْشَيْن: يَدْخُلن. والوَعْث: الأرض التي تَغيبُ فيها القوائمُ فيعْسُرُ السَّيرُ عليها.
(٦) الجَحْفل: الجيش العظيم. والخَطّار: الطويل الذي يَضْرب لطوله. والعوالي: جمع العالية، وهي أعلى الرمح.

ولكن عبيداً في الأبيات يتحدّث عن انتجاع الحارث الأعرج. فأنى يستقيم أن يتأخر الحارث الأعرج الى ما بعد سنة ٥٨٣م؟

يظهر أن الحارث الأعرج هو الحارث بن أبي شَمِر وهو الحارث بن جَبَلَة، فالأسماء الثلاثة لمُسَمّى واحد. وقد قال بهذا الرأي ابن عبد ربه[٢] وابن الأثير[٢] من القدماء، ونبيه عاقل[٣] من المحدثين.

وثاني ما يَشْغَب على نولدكه من الشعر الجاهلي شعرٌ لحاتِم الطائيّ ذكر فيه صراحة اسم الحارث بن عمرو، فقال[٤]:

أبلِغِ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي حافظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للثّـواب

وذكر اسم أمه، وذكر أن حارثين نُمَياه، فقال[٥]:

نَمَتْـهُ أُمامَـةُ والحارثـا نِ حتى تمهَّلَ سَبْقاً جديدا

وليس في قائمة نولدكه هذا الأمير.

ولا بدّ من التماس العُذْر لنولدكه، فهذا اسم لا يَرِد في أية قائمة من قوائم أمراء غسان التي صنعها المؤرخون، إلا في قائمة (هوار) Huart إذا جاز أن أسمّيها قائمة– حيث جعل أبا شَمِر الحارثَ بن عمرو أولَ أمراء غسان في الشام، وأنه عاش زمن الامبراطور البيزنطيّ أناستازيوس (٤٩١ – ٥١٨م)[٦]. ومُحالٌ أن يكون حاتم أدركَ ذلك الزمن.

---

(١) ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد (المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥)، ٢: ٥٤.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٥٤٧.

(٣) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥)، ص ١٥٩.

(٤) ديوان شعر حاتم الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة،؟)، ص ١٩٤.

(٥) نفسه، ص ٢٠٧.

(٦) Histoire Des Arabes, Tome, 1p.60

(٢)
الأحاليف

الأحلاف في العصر الجاهلي كُثُر، وقد أحاط ببعضها أصحاب المُعْجمات ومنهم ابن منظور: فقد أورد الأحلاف في قريش: عبد الدار وجُمح وسَهْم ومَخْزوم وعَدِيّ بن كعب. وأورد الأحلاف في شعر زهير بن أبي سلمى، ومنها قوله[١]:

تداركْتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عَرْشُها وذبيانَ قد زلَّتْ بأقْدامِها النَّعْلُ

وقوله[٢]:

ألا أبلِغِ الأحلافَ عني رِسالةً وذبيانَ هل أقْسَمْتُمُ كلَّ مَقْسَمِ[٣]

وقال: «ويقال ابني أسدَ وطيئ الحليفان، ويقال أيضا لفَزارة ولأسَد حليفان؛ لأن خُزَاعة لما أُجْلَت بني أسَد عن الحَرَم، خرجت فحالفَتْ طيّئا، ثم حالفت بني فَزارة»[٤].

وقال أبو عُبيدة في خبر يوم النِّسار: «تحالفَتْ أسد وطيّيء وغَطَفان، ولَحِقت بهم ضَبَّة وعديّ، فغزوا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً»[٥].

ومن خبر يوم النّسار أيضا ما ذكره الشّمشاطيّ، قال: «وهو يوم لبني أسَد وغَطَفان وطيّيء، وهم الأحاليف، على بني عامر... وكان سبب يوم النِّسار أن بني تميم كانوا يأكلون عُمومتهم بني ضبَّة وبني عبد مناة، فأصابوا رَهْطا من بني تميم، فَطَلَبَتْهم تميم، فلحِقت الرِّباب ببني أسد ابن خُزَيْمة، وهم يومئذ حلفاء لبني بَغيض بن غَطَفان،

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤)، ص ١٠٩.

(٢) نفسه، ص ١٨ (والبيت من المعلقة).

(٣) هكذا وردت رواية البيت في اللسان.

(٤) لسان العرب (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٦)، مادة حلف.

(٥) العقد الفريد، ٣: ٣٧٥.

وحُلفاؤهم أيضا بنو وطيئ . ورئيس ذُبيان حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر، ورئيس بني أسدَ عَوْفُ بن عبد الله بن عامر بن جَذِيمة بن نَصْر بن قُعَيْن، ويقال خالد بن نَضْلَة الأسدي، ورئيس الرِّباب يوم النِّسار الأسود بن المنذر أخو النعمان. وحدَّث قيس بن غالب أن رئيس الرِّباب وجماعة الأحاليف يوم النِّسار حِصْنُ بن حُذَيْفة، وأنشد في تَصْداق ذلك قول زُهير[1].

ومِنْ مِثْلِ حِصْنٍ في الحروب ومِثْلُهُ لانْكارِ ضَيْمٍ أو لأَمْرٍ يُحاوِلُهْ
إذا حَلَّ أحياءُ الأحاليفِ حَوْلَهُ بذي لَجَبٍ هدّائُهُ وصَواهِلُهْ[2]

★ ★ ★

فالأحاليف الذين أعنيهم في هذا البحث هم: أسد وذُبيان وطيىءوضَبَّة، وهي تسمية ليست طارئة، أو تسمية أملتها لوازم البحث، وانما هي تسمية لزمت تلك القبائل حتى بَدَت كالعلم عليها.

وديار الأربع قبائل متداخلة، فهي تشكّل ما يمكن أن تكون وحدة جغرافية، فهي تمتدّ من شرق جبلي أجأ وسَلْمى (شَمَّر اليوم) حتى شرق المدينة، فكأنها درع يقي شمال الجزيرة العربية.

لم تكن ديار غسان – على الرغم من الغموض الذي يحيط بامتدادها – مُصاقبة لديار الأحاليف، فبينهما سيرُ تسع ليال للعاجلِ المُنْتاب، كما يقول حاتِم الطائي[3].

ولكن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلُّع الى نجد، والايقاع بالقبائل النجديّة كطيّىء وأسد وذبيان وتميم وضبّة، وبلغ مُغارها كِنانة، «فقلّما وقفت غسّان للرشد»[4] كما يقول عبيد بن الأبرص.

---

(١) انظر الديوان، ص ١٤٣ – ١٤٤.
(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧)، ص ١٤١ – ١٤٢.
(٣) انظر الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤.
(٤) انظر الديوان، ص ٦٠.

أما أن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلّع إلى نجد، فلأن القبائل اللواتي كن يحجزن بين غسان والأحاليف كن خاضعات لنفوذ الروم البيزنطيين، كغسان نفسها، وهن حليفات لغسان، وقد ناصرنها، واشتركن معها في الغارة. ولا نكاد نستثني منهنّ غير عُذْرة – وبني حُنّ منها خاصة – الذين غزاهم النعمان بن الحارث الأصغر في وادي القُرى، فهزموه، كما يتبدّى من شعر النابغة الذبياني[1]. وأما كَلْب وقُضاعة وَبَلِيّ وسَلِيح فكنّ يشتركن مع غسان في الغارة.

وقد تنبّه الشاعر الجاهلي إلى المؤازرة التي تَلقاها غسان، حتى إن الأخنس بن شِهاب التغلبي قد جعل عزّ غسان في سواها، فقال[2]:

وغَسانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سِواهُمُ يُقاتِلُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وكَتائبُ[3]

ويرد ذكر ما في جيش غسان من (أشائب) في شعر النابغة الذبياني[4]، وقد حمّل حسان بن ثابت مسؤولية هزيمة الحارث الأصغر أو الجَفْنيّ أو مقتله عدم وجود أصحاب للحارث من جِذْم غسان[5].

ويمكننا أيضا أن نتبيّن ذاك الاشتراك من أبيات للنابغة الذبياني، صوّر فيها غارة لعمرو ابن الحارث الأصغر على فَزارة – وهي من ذُبيان – فساق عمرو الرُّفَيْدات وهم «بطن من كَلْبٍ[6] من جَوْش ومن عِظَم، وأدخل في حملته سُلافًا وأنفاراً من رهط رِبعِيّ وحَجّار القُضاعِيّين[7].

★ ★ ★

(١) انظر الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٩٨.

(٢) من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

لابنةِ حِطّانَ بنِ عَوْفٍ منازِلُ كما رَقَّشَ العُنْوانَ في الرَّقِّ كاتبُ

انظر المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٠٥.

(٣) المِقْنَب: الجماعة من الخيل.

(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٢.

(٥) ديوان حسان بن ثابت (تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤)، ١: ٢٠٤.

(٦) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق ابراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩)، مادة رفيدة.

(٧) انظر ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٧٧.

ولا بّد لي من الاشارة إلى أن جلّ الشعر الذي تحدث عن أيام غسان مع الأحاليف جاء من شعراء تلك القبائل، وليس من شعراء غسان، فالشعر الذي وصل إلينا من غسان منزور[1].

(٣)
بين غسان وأسد
أ. في عهد الحارث الأعرج

يتحدّث عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس من شعراء أسد عن أيام قبيلتهما مع غسان، في عهد الحارث الأعرج.

أما أن هذا الصراع حدث في عهد الحارث الأعرج، فلأن عبيداً قد ذكره صراحة «فانْتَجَعْنا الحارث الأعرج»[2]، فلا مجال بعدُ لتخمين أو ظنّ.

ويصوّر الشاعران – عبيد وعمرو – انتصار بني أسد على غسان يومي المُرار والقُرات (بالقاف وليس بالفاء كما ورد عند ابن حبيب[3]، والأصبهاني[4]): حيث خرجت أسد في جَحْفل جرّار «خَطّار العَوالي»[5] «قَسْطَلُهُ ذائلُ»[6] كما قال عبيد، أو في جَحْفَل كالليل البهيم، كثير العدد وافره، والخيل الجرد تعدو في أعنّتها كانها القطا الواردات، وهي تلوك اللُّجُمُ، وتباري الرّكْب في عِناد.
قال[7]:

---

(١) من شعر غسان المنزور شعر الشيظم بن الحارث الغساني. انظر القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم، ذيل الامالي والنوادر (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ)، ص ١٧٩.

(٢) الديوان، ص ١١٦.

(٣) المحبر، ص ٢٤٧. وعليه اعتمد جواد علي. انظر المفصل في تاريخ العرب، ٣: ٤٣٥.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٥) ديوان عبيد بن الابرص، ص ١١٧.

(٦) نفسه، ص ٩٩. والقَسْطل: الغُبار في المعركة. والذائل: الطويل الذيل لا ينقطع. يريد أن الغبار منتشر فوق الجيش وخلفه.

(٧) نفسه ص ٥٩.

بِجَحْفَلٍ كبهيم اللَّيْلِ مُنْتَجِعٍ أرضَ العَدُوّ لُهامٍ وافرِ العَدَدِ(١)
القائدُ الخَيْلَ تَرْدِي في أعِنَّتِها وِرْدَ القطا هجّرَتْ ظِمْئاً الى الثَّمَدِ(٢)
من كُلِّ عِجْلِزَةٍ بادٍ نَواجِذُها على اللِّجامِ تُباري الرَّكْبَ في عَنَدِ(٣)
وكلِّ أجرَدَ قد مالَتْ زِحالَتُهُ نَهْدِ المراكلِ فَعْمٍ ناتىءِ الكَتَدِ(٤)

وهو جَحْفل يضمّ فتيانا تَحْتَزّ سيوفهم الأعناق، وفيهم كلّ فتى كريم جواد، غير قعيدٍ زاد، ولا أوْجل ضعيف، ولا أشَلّ يبيس الأنامل.

قال عمر بن شأس:(٥)

بأيديهُمُ هِنْدِيَّةٌ تَخْتلي الطُّلَى كما فَضَّ جاني حَنْظَلٍ نَضْرَ حَنْظَلِ(٦)
بكلِّ فتى يَعْصَى بكُلِّ مُهَنَّدٍ نَدٍ غيرِ مِبْطانِ العَشيّاتِ عَثّجلِ(٧)
كَعِجْلِ الهِجانِ الأدْمِ ليس بِرُمَّحٍ ولا شَنِجٍ كَزِّ الأنامِلِ زُمَّلِ(٨)

وقد قُتل يوم القُرات (عَدِيّ) دون مشقة أو عناء، وقُتل (قُرص) يوم المُرار حين حصرته الخيل من يمين ويسار.

قال عمرة بن شأس:(٩)

ونحن قَتَلْنا بالقُراتِ وجَزْعِهِ عَدِّياً ولم يُكْسَرْ به عُودُ حَرْمَلِ(١٠)

وقال عُبيدة (أحد بني سَعْد بن ثَعْلَبة)(١١):

---

(١) اللُّهام: العظيم كانه يلتهم كل شيء.

(٢) تَرْدِي: ترجُم الأرض بحوافرها في عَدْوِها. وهجّرت: طارت في الهاجرة إذ يشتدُّ الحرّ. والثَّمَد: الماء القليل.

(٣) العِجْلِزَة (بكسر اللام وفتحها): الفرس الشديدة. والنَّواجذ: أقصى الأضراس. والعَنَدَ: المُعاندة.

(٤) الزِّحالة: السَّرج. والنَّهْد: العالي المرتفع. والمَراكل: مَع المَرْكَل، وهو الموضع من الحصان حيث يَهْمزه الراكب. ونَهْدُ المراكل: كناية عن علوّ الجواد وإشرافه. والفَعْم: الممتلىء، وقد خص الفيروزآبادى الفَعْم بامتلاء الذراعين (القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ – مادة فعم). والكتد: موضع اجتماع الكتفين.

(٥) شعر عمرو بن شأس الأسدي (صنعه يحيى الجبوري، مطبعة الآداب النجف، ١٩٧٦)، ص ٥٨.

(٦) تَخْتَلي: تقطع. والطُّلَى: جمع طُلْيَة (بضم الطاء) أو طلاة وهي العنق.

(٧) نَدٍ: كثير العطاء. والعَثْجَل: العظيم البَطْن.

(٨) الرُّمَّح: الفقير المحتاج. والزُّمَّل: الضعيف الجبان.

(٩) الجَزْع في الوادي: منعطفه أو منحناه. ومن الأرض المُشْرف منها إلى جَنبه طمأنينة. والحَرْمَل: نبت سهل الكسر له حبّ أسود كالحَرْدَل.

(١٠) معجم البلدان، مادة قُرات.

وقد جعل ياقوت عُبيدة أحد بني قيس بن ثَعْلَبة. وقيس بن ثعلبة من بكر، ولا علاقة لها بالقُرات.

أليسوا فوارسَ يَوْمِ القُـــرا تِ والخَيْلُ بالقَوْمِ السَّعالي

وقال عبيد بن الأبرص[1]:

ثم غادَرْنا عَدِيّاً بالقنا الذبلِ السُّمر صَريعاً في المَجـــالِ[2]
ثم عُجْناهُنَّ خُوصاً كالقَطا القارب الماءَ من أينِ الكَلالِ[3]
نَحْوَ قُرْص يومَ جالت حولَهُ الخيل قُبّا عن يَمينٍ وشِمالِ[4]

وقال عبيد أيضا وقد عدّد مآثر أسد:[5]

ونَحْنُ قَتَلْنا مُرَّةَ الخَيْرِ مِنْكُمُ وقُرْصاً قتلْنا كانَ مِمَّنْ أولئكا

وقال بعد حديثه عن خيل الغارة[6]:

حتى تعاطَيْنَ غسّاناً فَحَرْبُهُـمُ يومَ المُرارِ ولم يُلْووا على أحَدِ[7]
لما رأوْكَ وبلج البيض بينَهُم وكلّ مطَّرِدِ الأُنبوبِ كالمَسَدِ[8]
غَوَّتْ بنو أسَدٍ غسّانَ أمرَهُمُ وقَلّما وَقَفَتْ غسّانُ للرَّشَدِ

وليس في ديوان عبيد ما يكشف حقيقة ضمير المخاطب في (رأوك)، فالقصيدة في المدح، والممدوح غير متبين.

فمن هو؟

لا يظهر من شعر عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس قائد أسد في ذينك اليومين، فشعرهما تبرز فيه الروح الجماعية للقبيلة، ويغيب فيها الفرد في غَمْرة الجماعة، وهذه مَزيَّة تُحْفَظ لشعراء أسد.

---

(١) الديوان، ص ١١٧.
(٢) القنا الذُّبَّل: أنابيب الرماح الدِّقاق. والعرب تسمّي الشيء في بعض الأحيان باسم جزئه. فالقناة أنبوب الرّمح، وهي الرمح كله.
(٣) الخُوْص: الغائرات العيون. والأَيْن والكَلال: التعب.
(٤) الخيل القُبُّ: الضوامر.
(٥) الديوان، ص ٩٤.
(٦) نفسه، ص ٦٠.
(٧) لم يُلووا على أحد: لم يَعوُجوا على أحد استعانةً به.
(٨) مطَّرِد الأنبوب: طويلُ القناة طولاً مُعْتدلا مُقَوَّما.

ولذا أجدني محتاجاً إلى تلّمس اسم ذلك القائد في غير شعرهما. فقد ذكر ابن حبيب[1]، والأصبهاني[2]، وياقوت[3]، ان قائد أسد يوم القُرات هو رَبيعةُ بن حُذار الأسديّ. وقد سلَكَ ابن حبيب ربيعة في سِمْط القادة الجرّارين، وهم الذين قادوا ألف رجل[4].

ويخيّل إليّ أن ربيعة نال هذه الصفة بهذا الجَحْفَل الذي قاده لقتال غسان، فقد رأينا أن شاعرَيْ أسد قد صوّراه جيشا لُهاماً وافرَ العدد.

وإذا صحّ هذا، يكون رَبيعةُ قد قاد أسداً عند الخلاص من حُجْر بن الحارث بن عمرو المَقْصور بن حُجْر آكل المُرار الكِنْديّ، أبي امرىء القيس، الذي مُلّك على أسد في تاريخ معلوم، وفي قتال غسان في القُرات والمُرار.

ويَلْفِتُ في وصف عمرو بن شأس ليوم القُرات أنه جعلَ غسان غازيةً، وجعل أسداً مدافعة أهلَ منزل، حيث قال[5]:

فلم أرَ حَيًّا مِثْلَهُمْ حينَ أقبلوا ولم أرَ حَيًّا مثلَنا أهلَ مَنْزِلِ

فهل القُرات في ديار أسد؟

وأما عبيد فقد جعل أسداً غازية، وجعل غسان مُدافعة: فقد جاء في شعره «نحن قُدْنا من أهاضيبِ المَلا»[6] و «انتَجَعْنا الحارث الأعرج»[7]، «ثم غادرنا عَدِيّا بالقنا»[8] فهل القراتُ خارج ديار أسد؟

فالقرات من ديار أسد عند عمرو بن شأس، وخارجها عند عبيد بن الأبرص. أهذا تناقض، والمتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كما يقول المناطقة؟

---

(١) المحبّر، ص ٢٤٧.
(٢) الاغاني، ١١: ١٨٩
(٣) معجم البلدان، مادة قرات.
(٤) المحبّر، ص ٢٤٦.
(٥) شعره، ص ٥٧.
(٦) الديوان، ص ١١٦.
(٧) نفسه، ص ١١٧.
(٨) نفسه، ص ١١٧.

يحتاج تحديد المكان إلى من هو أقدر مني على تحديد الأماكن الخافية في شمال الجزيرة. فإذا جاز لي أن أرجّح أقول: القُرات خارج ديار أسد، استئناساً بتحديد ياقوت، في أن القُرات وادٍ بينَ تِهامةَ والشام»[1]، وديار أسد لم تبلغ تِهامة، اذا اعتمدتُ على تحديد (لِيال) لتلك الديار.

قال لِيال: «وكانت حدودُ أرض أسد تمتدّ جنوبي تَيْماء المشهورة، وشرقي طريق التجارة العظيم الممتدّ من الشمال الى الجنوب، وهو الآن طريق الحج من مَعان إلى المدينة، وغربي وجنوبي الحدّ الغربي من أجأ وسَلْمى جبل طيّىء. وكانت أسد أقصى قبائل مَعَدّ شمالا، على الطريق من الجنوب الى فِلسْطين وسوريّة، وراءها قبائل عُذْرة، وجُذام، وَبِلِيّ اليمنية، على الطريق التجاري، والى شرقها وشمالها الشرقي قبيلة كَلْب، اليمنية الأصل أيضا، في المنخفضات المسمّاة الآن بوادي السِّرحان والجَوْف، يفصلها عن أسد شريط واسع من السلاسل الرملية – النُّفود الآن»[2].

ولا بدّ لي من أن أستذكر أن يَوْمَيْ القُرات ومُرار حدثا في عهد عبيد بن الأبرص، فهو شَهد أو شاهد اليومين، وأما عمرو بن شأس فلم يعاصرهما. فعبيد رأى وعمرو سمع، وليس راءٍ كمَنْ سمع كما يقال.

عبيد شاعر قديم عايش عهد الحارث بن أبي شَمِر الأعرج، وقتلَهُ المنذر بن ماء السماء اللَّخْمّي، الذي قُتِل، قتله الحارث زهاء سنة ٥٥٤م، فعبيد بذلك قتل قبل تلك السنة.

وعمرو بن شأس شاعر مخضرم، شهد القادسية (١٥هـ/ ٦٣٧م)، وقال فيها شعراً[3]. فلو كان أدرك عهد الحارث الأعرج لغدا إبان القادسية شيخا كبيراً يَدْلِف في التسعين. وما في التسعين مُنّة على جهاد، أو اصطبار عليه.[4]

---

(١) معجم البلدان، مادة قرات.

(٢) ترجم حسين نصار مقدمة لِيال في تحقيقه للديوان. انظر ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٣ – ١٤ (المقدمة).

(٣) انظر شعره، ص ٨٦ – ٨٧.

(٤) انظر مقدمة يحيى الجبوري لشعر عمرو بن شأس، ص ١٧ – ١٨.

القُرات والمُرار في شعر النابغة الذبياني

قال الطُّوسيّ: «حين قَتَلَتْ بنو عَبْس نَضْلَة الأسديّ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عُيَيْنَة[1] عَوْن بني عبس، أن يُخرج بني أسد من حلف بني ذبيان»[2]، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها[3]:

غَشِيتُ منـــازلا بِعُرَيْتِنـــــاتٍ فأعلى الجَزْعِ للحيِّ المُبِـنِّ[4]

وذكر أسداً فقال:

إذا حاوَلْتَ في أسَدٍ فُجُورا فإني لستُ مِنْك ولستَ منّي
شَهِدتُ لهم مَواطِنَ صادقاتٍ أتَيْتُهُـــمُ بودِّ الصَّدْرِ منّـــي
وَهُمْ ساروا لِحُجْرٍ في خَميسٍ وكانوا يومَ ذلكَ عندَ ظَنّي[5]
وهُـمْ زَحَفُـوا لغسانٍ بزَحْـفٍ رَحيبِ السَّرْبِ أرعَنَ مُرْجَحِنِّ[6]
بكلِّ مُجرَّبٍ كاللَّيثِ يَسْمو على أوصالِ ذيّالٍ رفَـــنِّ[7]
وضُمْرٍ كالقِداحِ مُسَوَّمـــاتٍ عليهـــا مَعْشَرٌ أشبـــاهُ جِنِّ[8]

فها هو ذا جَحْفل أسد زاحفاً لغسان، فهو المغير وغسان مُغارٌ عليها. وهذا يتّفق مع ما قاله عبيد، وليس مع ما قاله عمرو بن شأس.

---

(١) عُيَيْنَة: هو عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفة الفَزاري. وكان أبوه حِصْن سيد فَزارة في عهد الحارث الأصغر، وقد أصيب حِصْن يوم بني عُقَيْل من عامر. ولحِصْن قصيدة ينصح فيها لفَزارة أن يُوَلّوا عُيَيْنة بعد موته. انظر القصيدة في أمالي المرتضى (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧)، ١: ٢٣٠. والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢)،

وقد أدرك عُيَينة الاسلام، وأسلم، ووصفه الرسول الكريم بأنه السيد المحمق.

(٢) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٢٥.

(٣) نفسه، ص ١٢٥.

(٤) الحيّ المُبِنّ: المقيم زمن الربيع.

(٥) حُجْر: حُجْر بن الحارث الكِنْدي أبو امرىء القيس.

(٦) الجيش الأرعن: المضطرب لكثرته. والمُرْجَحِنّ: الثقيل.

(٧) الرَّفَنُ: الذيّال والمتبختر في بَطَر.

(٨) المَسوَّمات: المُعْلَمات اللواتي عليهم علامات يعرفن بها في الحروب.

وها نحن أولاء نرى أن صورة جحفل أسد الجرّار تتكرّر عند النابغة الذبياني: فهو رَحْبٌ يملأ الطرق، أرعَنُ ثقيل، ورجاله كاللُّيوث مجرّبون غير أغرار، يُشْبِهون الجنّ. والجياد ذيّالة ضوامر، ضمور القِدْح الصَّلِيب.

عَدِيّ وقُرْص

ليس فيما كتبه نولدكه أو جواد علي أو غيرهما ممن اطّلعوا على كتابات المؤرخين غير العرب، ما يعين على تبين حقيقة عَدِيّ وقُرْص اللذين قتلتهما أسد يوم القُرات، والاشارة التي أوردها جواد علي مستقاة من المصادر العربية[1].

وفي كلا الرجلين– إذا كان قُرص رجلا وليس جبلا– كلام: فقد ذكر ابن الشجري أن عَدِيّاً هو عديّ بن مالك ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر»[2]. وفي شرح ديوان حسان «هو عديّ ابن أخت قُرْص الغسانيّ. وكان قُرْص ملكا من ملوك غسان، غزا عَدِيّ بني أسد فقتلوه»[3]. وفي الأغاني «أغار ملك من ملوك غسان يقال له عديّ، وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر الغساني على بني أسد، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة... فقتلت بنو سعد عديا... فقالت فاختة بنت عدي:

لعمرك ما خشيت على عدي رماح بني مقيّدة الحمار
ولكنني خشيت على عدي رماح الجنّ او اياك حار

تعني الحارث بن أبي شمر خاله:

قتيل ما قتيل ابني حذار بعيد الهمّ طلاع النجار[4]

ففاختة لم تَخْش على عديّ رماحَ أهلِ الحَرّة[5] وهي تُقيّد حمار الوحش فلا تدَعُهُ

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٣: ٤٣٦.

(٢) ابن الشجري، هبة الله بن علي، مختارات شعراء العرب (تحقيق علي محمد بجاوى، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٣٢٦.

(٣) الديوان (تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية القاهرة، ؟)، ص ٢١٩.
والديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩– ١٩٠.

(٥) مقيدة الحمار في الاغاني امرأة من كنانة يقال لها تماضر وهي أم قاتلي عدي.

يسير من شدّة وعورتها – ولكنها تخشى عليه من الطاعون – وهو في نظر الجاهليين من وَخْز رماح الجنّ – أو تخشى عليه من الحارث نفسه.

وتَشْغَب على هذه الرواية للبيتين رواية أخرى لثعلب، ليس فيها اسم عَدِيّ، وانما فيها اسم (أُبَيّ)، فقد روى ثَعْلَب البيتين:

لعمُرك ما خَشِيتُ على أُبَيٍّ رماحَ بني مُقَيّدةِ الحِمارِ
ولكنّي خَشِيتُ على أُبَـيٍّ رِماحَ الجنّ أو إياكَ حارِ[1]

وتوافق رواية الثعالبي[2] رواية الأغاني، ويوافق الثيلي[3] ثعلباً، وأخذ بالروايتين ابن منظور[4].

واذا كان هذا الكلام لم يَزِد عديّا إلا غُموضا، فان الغموض الذي يحيط بقُرْص أشدّ. قال ابن الشَّجَري: «قُرْص بن مالك من غسان، ويقال هو رجل من بني كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، ويقال: هو من كِنْدة»[5]. وفي شرح ديوان حسان بن ثابت «وكان قُرْص ملكاً من ملوك غسان»[6]. وقال ياقوت: «تلٌّ بأرضِ غسان في شعر عبيد بن الأبرص»[7].

وإخال أن مَرَدّ هذا الخلاف البيتان نفسهما اللذان ورد فيهما اسم قُرْص. ولا أرى عليّ تثريباً اذا أعدت كتابتهما، وهما:

نَحْوَ قُرْصٍ يوَم جالَتْ حوْلَه الخَيْلُ قُبّاً عن يمينٍ وشِمالِ[8]

---

(١) ثعلب، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب (تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠)، ٢: ٢٧٤.

(٢) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨)، ص ٥٣.

(٣) الثيلبي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، آكام المرجان في أحكام الجان (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ).

(٤) انظر لسان العرب، المواد: رمح، وحمر، وقيد. وقد جاءت (أبيّ) في مادتي: رمح وحمر، وجاءت (عدّي) في مادة قيد.

(٥) مختارات شعراء العرب، ص ٣٢٧.

(٦) الديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

(٧) معجم البلدان، مادة قرص. (٨) ديوان عبيد بن الابرص، ص ٩٤.

ثم:

ونَحْنُ قَتَلْنا مُرَّةَ الخَيْرِ مِنْكُمُ وقُرْصاً قتلنا كانَ ممن أولئكما[1]

أما ياقوت الذي عدّ قُرْصاً جبلاً فيظهر أنه التفت إلى البيت الأول دون الثاني، وهو في غزو أسد لغسان، وجَوَلان الخيل حول جبل أقربُ من جَوَلانها حول رَجُل. ولو كان ياقوت قد التفت إلى البيت الثاني لاطّرح هذا الاحتمال، فَقَتْل قُرْص يميطُه لا مَحالة.

وأما من قال: قُرْص من غسان، فاستند إلى أن أسداً قَتَلَتْ قُرْصاً، وأن الخيل جالت حوله بعد انتجاعها الحارث الأعرج.

وأما من قال: قرص من عامر بن صَعْصَعَة، فاستند الى ما بين أسد وعامر من عداء، وفي القصيدة التي منها البيت الثاني افتخار بانتصار أسد على عامر.

والقول: قُرْص من كِنْدة، موافق طِباقاً للبيت الثاني، فالقصيدة في خطاب امرىء القيس، والفخر عليه بفعالِ قبيلته وانتصاراتها على كِنْدة وعامر، وقتلها حُجْراً أبا امرىء القيس، وعمراً جَدّة (؟) وعمّيه الأَجْدَلَيْن ومالكا. وفخر عبيد بقتل مُرَّة الخير، وجعله من كندة (منكم) وعطف قُرْص عليه يَسْتتبع أن يكون قُرْصٌ من كِنْدة.

ولكن البيت الأول يزيل هذا القول.

فأقرب ما يتحصّل من هذه المناقشة أن يكون قُرْص من غسان. ولكن اسمه يظل غريبا على رغم موافقته لسان العرب. ففيه إشمام من عُجْمة تجعلني أميل إلى جعله محرّفا من (دقص) Dux، وتعني رئيساً أو قائداً عند البيزنطيين[2].

بكاء عبيد بن الأبرص قومه.

واذا كان عبيد وعمرو بن شأس قد فخرا بانتصار أسد على غسان، فإن في شعر عبيد ما يُظنّ أنه دالّ على ما ابتليت به أسد من غسان. وقد لاحظ حسين نصار أن عبيداً يبكي قومه بني سَعْد بن ثَعْلَبة، الذين أبادتهم الحُروب والمنايا «في حروبهم مع الغساسنة، فيما يظهر من شروح الديوان»[3] في قوله:

(١) نفسه، ص ١١٧.
(٢) نولدكه، أمراء غسان، ص ١٨.
(٣) الديوان، ص ٨.

ديارُ بني سَعْدِ بن ثَعْلَبَةَ الأُلى أذاعَ بِهِمْ دَهْرٌ على الناسِ رائبُ
فأَذْهَبَهُمْ ما أذهبَ الناسَ قبلَهُمْ ضِراسُ الحروبِ والمنايا العَواقِبُ

أقول: يمكن أن يدلّ بكاء عبيد قومه الذين أذهبهم ضراسُ الحروب والمنايا التوالي، على أن غسان أدمت أسداً، ولكن هذا الادماء لم يَلْحَقْها من غسان وحدها، بل منها ومن غيرها ككندة وعامر وتَميم وعَبْس، حتى باتت أسد دريئة تصيبها السهام من كل صَوْب، ولكنها احتملت ذلك بإباء واقتدار.

ب - في عهد الحارث الأعرج وولديه

لا نجد - أو لم أجد - بعد الحارث الأعرج شعرا لأسد فيه ذكر لغسان، وبشر بن أبي خازم الأسدي الذي كنت آمل أن أجد في ديوانه شعراً عن علاقة أسد بغسان، يخلو ولو من إلماح إليهم. فقد تغنّى بانتصار أسد وأحلافها من غَطَفان وطيىء وضبَّة على بني عامر وتميم يومي النِّسار والجِفار، وسكتَ عن صراع أسد مع غسان، فلم يذكرها بخير أو شرّ.

* * *

واذا كانت أيام أسد مع غسان في عهد الحارث الأصغر وولديه: النعمان وعمرو لم تظهر في شعر شعراء أسد، فانها ظهرت في شعر النابغة الذبياني.

ويظهر من ذلك الشعر أن أسداً أصيبت في غَسّان، حتى صيّرها النابغة عِبْرة لذبيان،

يصيبها ما أصاب أسداً إذا هي لم تُذْعِنْ لغسان. ويتبدى هذا من قصيدته التي مطلعها.[1]

إني كأنّي لَدَى النُّعمانِ خَبَّرَهُ بعضُ الأوُدّ حديثا غير مَكْذوبِ[2]

ومن خبر هذه القصيدة أن النابغة «ركب إلى الحارث بن أبي شَمِر[3]، ليكلّمه في أسارى بني أسد وبني فزارة، فأعطاه إيّاهم وأكرمه. وقد كان حِصْنُ بن حُذَيْفة الفَزاريّ أصاب في غسان قبل ذلك بعام، فقال الحارث للنابغة: ما دسَّ بني أسد إلا حِصْن، وقد بلغني أنه لا يزال يجمع عليه الجموع ليصيرَ على أرضنا. وقد كان النعمان بن الحارث شديداً غليظاً، فدخل عليه النابغةُ، فقال له النعمان: إن حصناً عظيمُ الذنب إليّ وإلى الملك، فقال له النابغة: إن الذي بلغك باطل»[4].

ويظهر أن الحملة التي قام بها الحارث أصابت بني أسد على (الأمرار)[5]، فقتل وأسر وسبى، قال النابغة:

ولا تُلاقي كما لاقَتْ بنو أَسَدٍ فقد أصابَتْهُمُ بشُؤبوبِ
لم يبقَ غيرُ طَريدٍ غير مُنْفَلِتٍ ومُوثَقٍ في حبالِ القِدِّ مَسْلُوبِ
أو حُرَّةٍ كمهاةِ الرَّملِ قد كبلت فوق المعاصم منها والعراقيب
تدعو قُعَيْناً وقد عض الحديدُ بها عَضَّ الثِّقافِ على صُمِّ الأنابيبِ

والسبايا يدعون قُعَيْناً، وهم «حيّ من أسد»[6]، ولكن لا معين لهنّ منهم.

---

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٤٩.

(٢) الأوُدّ: جمع ودّ، وهو ذو الود.

(٣) لقد اتضح من البحث أنه الحارث الأصغر بعد أن تبينا الحارث بن أبي شمر.

(٤) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق أبو الفضل ابراهيم)، ص ٤٥. والديوان (تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠)، ص ١٤. وفي ديوانه (جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٧)، ص ٥٠ زيادة مفيدة.

(٥) الأمرار: قال ياقوت: اسم مياه بالبادية، وقيل مياه لبني فَزارة وقيل: هي عُراعِر وكُثَيْبٌ يدْعيان الأمْرار لمرارة مائهما (معجم البلدان، مادة أمرار). وعُراعِر تحدّد مكان الأمرار، فهي تقع في الطريق بين المدينة وتيماء (شمال غرب الجزيرة، ص ٤٠١).

(٦) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، مادة بني قعين.

(٤)
بين غسان وذبيان
أ - النابغة الذبياني

لقد كفاني النابغة الذبياني مؤونة التنقير عن غيره في استجلاء علاقة غسان بذبيان: فالنابغة ابن قبيلته، وابن بَجْدَتها، وذو المكانة فيها، وهو وثيق الصلة بالغساسنة والمناذرة معا على ما بينهما من خصام.

وليست طَلِبَتي الآن أن أتحدّث عن النابغة، وقدرته الفائقة على وُلوج الموالج الصِّعاب، ومصانعة المتخاصمين، فحسبنا تلك القصيدة التي تصحّ لمدح الغساسنة والمناذرة، وهي التي مطلعها[١]:

أتاركـــةٌ تَدَلُّلَهـــا قَطَـــامِ وَضَنّـــاً بالتحيَّـــةِ والسَّلامِ

والتي اختلف الرواه فيمن قيلت: فهي في عمرو بن هند عند الأعلم الشَّنْتَمَري،[٢] وهي في المنذر بن المنذر عند ابن الكلبي،[٣] وهي في عمرو بن الحارث الغساني عند أبي عبيدة.[٤] وكأني بالنابغة قد أرادها أن تكون على هذا النحو المحيّر؛ حتى يحافظ على علاقته الطبيعية بالمناذرة والغساسنة معا.

* * *

وعلى الرغم من أن الأصمعي قد دفع أن النابغة أدرك عمرو بن هند «لأن عمراً كان مَلِكا قبل المنذر أبي النعمان، وملك عشر سنين، وملك النعمان ابنه ثمانياً وثلاثين سنة،

---

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٣٠

(٢) اشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الآفاق، بيروت، ١٩٨١)، ص ١٨.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد ابو الفضل)، ص ١٣٠.

(٤) نفسه، ص ١٣٠. وانظر مناقشة الروايات في أمراء غسان، ص ٣٩- ٤٠.

والنابغة مات وعمره خمسون سنة، ولا يجوز أن يكون مدح عمرو بن هند، وهو - أي النابغة - سنتين». (١)

أقول: على الرغم من ذلك، فإن في شعر النابغة مدحاً للحارث الأعرجِ الغساني الذي كان معاصراً للمنذر بن ماء السماء، قال: (٢)

واللهِ واللهِ لَنِعْمَ الفتى الـ أعرجُ لا النَّكْسُ ولا الخامِلُ

والمنذر بن ماء السماء هو أبو عمرو بن هند.

وفي ديوان النابغة ثلاث عشرة(٣) قصيدة ومقطوعة في غسان: واحدة(٤) في الحارث بن أبي شَمِر، وواحدة(٥) في الحارث الأصغر ابنِ حُجْر (أو عمرو) بن النعمان بن الحارث الأعرج، وسبع(٦) في النعمان بن الحارث الأصغر، وأربع في عمرو بن الحارث الأصغر.

ب - سبب الخلاف بين غسان وذبيان

ثمة منطقة كانت مصدر خلاف بين غسان وبين ذبيان وأسد. تلك المنطقة تقع بين الجِناب وعالِج، وقد ظهرت هذه المنطقة بجلاء في شعر النابغة الذبياني، حيث قال ينصح قومه: (٧)

وخَلُّوا له بين الجِنابِ وعالِجٍ فِراقَ الخليطِ ذي الأُذاةِ المُزايِلِ

أما الجناب فقد حَدّدها الشيخ حمد الجاسر «بالأرض الفسيحة الواسعة الواقعة في

---

(١) ديوان النابغة الذبياني (جمع محمد بن عاشور)، ص ١١٤.

(٢) نفسه (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٦٧.

(٣) ديوان الناغبة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٠، ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٣٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٦.

(٤) نفسه، ص ١٦٧.

(٥) نفسه، ص ٢٠٦.

(٦) نفسه، ص ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٦٥، ١٦٦.

(٧) نفسه، ص ٤٠، ١٣٠، ١٤١، ١٨٣.

(٨) نفسه، ص ١٤٤.

عِراض خَيْبَرَ من الشرق إلى تَيْماء، حيث يحدّها جبل حَدَد – هو جبل تَيْماء (غُنَيْم) – ثم تمتدّ هذه الأرض نحو الشمال حتى تتصل بوادي عَرْدَة الذي يقع أعلى وادي القُلَيْبة، القرية التي يمرّ بها المُتَّجه إلى تبوك، وهذه الأرض يطلق عليها الآن (الجَهْراء) أرض ذات أودية ومستنقعات واسعة».[1]

وأما عالِج فتسمى اليوم النفوذ، وهي الصحراء الممتدة من شمال جبل أجأ أحد جبلي طيىء (شمّر اليوم) إلى دُوْمةِ الجَنْدَل (الجَوْف اليوم)، وهي صحراء لا تخطئها العين في أية مصوّرة جغرافية لجزيرة العرب.

فهذه الأرض الشاسعة كانت مطمحَ غسان ومطمح قبائل الأحاليف، وخاصة ذبيان وأسداً. فقامت غسان في عهد الحارث الأصغر بإحماء الحِمَى فيها، كحِمَى النعمان بن الحارث الأصغر في ذي أُقر، فلم تأبه ذبيان وأسد لهذه الحمى فتربّعته، فهاجمها النعمان وأسر منها، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها:[2]

لَقَدْ نَهَيْتُ بني ذُبْيانَ عن أُقُر وعن تَرَبُّعِهِمْ في كُلِّ أصفارِ[3]

وعاودت ذبيان تربّعها، فأغار عليها عمرو بن الحارث الأصغر، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها: [4]

أُهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ بَرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فذاتِ الأجاوِلِ

ومما يُستغرب أن يكون النابغة مع غسان ضد قومه عندما طلب أن تخلي ذبيان تلك الأرض الشاسعة لعمرو بن الحارث الأصغر.

---

(١) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠)، ص ٥٠٠ – ٥٠١.

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ٧٥.

(٣) ذو أقر وأقر موضعان متقاربان كما يفهم من معجم البلدان (انظر مادتي أُقُر وأُقْر). وفيه أن ذا أقر واد لبني مُرّة، وهو واد نَجْلٍ – أي واسع – مملوء حَمْضا. وهو قريب من أرض الشربة. والشربّة شرقي وادي الرمة المشهورة (انظر شمال غرب الجزيرة، ٥٥٩ – ٥٦٠).

(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ص ١٤١.

ج - في عهد الحارث الأصغر

لقد تحدّثْتُ عن الحملة التي قام بها النعمان بن الحارث الأصغر في عهد أبيه على أسد وذبيان في أثناء الحديث عن أسد. وقد صوّر النابغة هذه الحملة عندما خرجت خيل الغارة الضَّوامر من الجَوْلان إبّان القَيْظ، عليها فرسان أُباة من شِيب وشُبّان قد دَرِبوا على الحروب، فما أصابت الخيل من النوم إلا غِراراً حتى بلغت أهلَ المِلْح وقد أخذ منها الكَلالُ كلّ مأخذ، يتصبب منها العَرَق كانصباب الماءِ من القِرَبِ الوُفْرِ.

قال:(١)

قادَ الجيادَ مِنَ الجَوْلانِ قائظَةً ... من بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُزْجَي ومجنوبِ(٢)
حتى استغاثَتْ بأرضِ المِلْحِ ما طَمِعَتْ ... في مَنْزِلٍ طَعْمَ نَوْمٍ غيرَ تأويبِ(٣)
يَنْضَحْنَ نَضْحَ المزَادِ الوُفْرِ أتأقها ... شَدُّ الرواةِ بماء غيرِ مَشْروبِ(٤)
قُبُّ الأياطِلِ تَرْدِي في أعِنَّتِها ... كالخاضِباتِ من الزُّعْرِ الظَّنابيبِ(٥)
شُعْثٌ عليها مَسَاعيرٌ لحَرْبِهِم ... شُمُّ العَرانينِ من مُرْدٍ ومِنْ شِيبِ(٦)

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٥٠.

(٢) ذكر فيليب حتّي أن عاصمة آل جفْنة كانت في البداءة معسكرا متنقلا، ثم صارت الجابيَة في الجَوْلان عاصمة لهم، وجِلّق الواقعة جنوبي حَوْران في بعض الأحيان. انظر:
History of Syria (Macmillan & co-LTO, London, 1959), p.401
ودُفن النعمان بالجَوْلان بين بُصْرى وجاسِم. انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٢١.
وتُزْجَى: تساق. والفَرَس المَجْنوب: المَقُود.

(٣) أرض الملح كثيرة في شمال الجزيرة حتى سمّيت قرية باسم قُرَيّات المِلْح. وقد ورد يوم باسم (يوم الملح) في شعر زيد الخيل الطائي. انظر ديوان زيد الخيل الطائي (صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف؟)، ص ٣٧.
والتأويب: السير جميع النهار، ولعلها هنا الشرب عند القائلة.

(٤) المَزاد: جمع المزادة، وهي القِربة. والوُفْر: جمع الوَفْراء، وهي الملأى. وأتأق: ملأ.

(٥) قُبُّ الأياطل: ضُمُرُ البُطون. وتروى: تُرْجُمُ الأرض بحوافرها في عَدْوها. والخاضبات من الزّعرْ الظّنابيب: كناية عن النعام. والخاضبات: مُحْمَرّة السوق، وتحمر عادة سيقان الظلمان في وَقْتِ الخِصاب. والزّعْر: قِصار الرّيش. والظّنابيب: عظام السُّوق.

(٦) شُمُّ العَرانين: كناية عن الاباء والشموخ. والعِرْنينُ الأشَمّ: الأنف الذي عَلَت أرْنبَتُه.

وقد أصابت هذه الحملة أسداً ولم تُصب فَزارة من ذُبيان، ولذلك ينصح النابغة لِفَزارة أن تَفِر الى الجبال والحِرار، كيلا تلاقي ما لاقته أسد:

فإذْ وقَيتِ بحَمْدِ اللهِ شِرَّتَها فالْنَجَيْ فَزارَ إلى الأَطْوادِ فاللولب[1]

د - في عهد النعمان بن الحارث الأصغر

يبدو أن النعمان لم يَقُم في عهد تولّيه إمارة غسان بعد مقتل[2] أبيه الحارث الأصغر بقيادة الغارة على ذبيان عندما تربعت أقراً، وانما أوكل أمر قيادة الغارة الى ابن الجُلاح الكلبي فقد قال ياقوت: «فَبَعَثَ النعمان بن الحارث إليهم جيشا وعليه ابن الجُلاح الكَلْبي، فأغار عليهم بذي أُقُر، وسبى ستين أسيرا وأهداهم إلى قَيْصر الروم.

وقصيدة النابغة تحذير لذبيان من غارة عليهم، فقد اجتمعت عليهم غسان وكلب ورَهطُ رِبْعي وحجّار من قُضاعة،[3] وقد تمنّى النابغة فيها ألا يرى نساء ذبيان سبايا مردفات وراء الأُجَراء والأَتْباع، يَذْرِفْنَ العَبرات، ويَنْظُرن شَزْراً إلى السُّباة، وعلى وجوههن امتعاض بيّن من إنكار الرّقّ وهنّ الحَرائر:

لا أعرِفَنْ رَبْرَباً حُوْراً مَدامِعُها كأنّ أبكارَها نِعـاجُ دَوّارِ[4]
يَنْظُرْنَ شَزْراً إلى مَنْ جاء عن عُرُضٍ بأَوْجُهٍ مُنْكِراتِ الرِّقّ أَحْرارِ
خَلْفَ العَضاريطِ لا يُوْقَيْنَ فاحِشَةً مُسْتَمْسكاتٍ بأَقتابٍ وأَكْوارِ[5]
يُذْرِينَ دَمْعاً على الأَشْفارِ مُنْحَدِراً يأْمُلْنَ رِحْلَةَ حِصْنٍ وابنِ سيّارِ

---

(١) اللُّوب: جمع اللّابة، وهي الحَرّة.

(٢) يستفاد هذا من قصيدة النابغة التي مطلعها:

إنْ يَسْلَمِ الحارث الحـرّابُ تعترفوا جيشاً مُغيراً على ثَهْلانَ أو خَطَرا

الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٢٠٦.

(٣) نفسه، ص ٧٧.

(٤) الرَّبْرب: القطيع من بقر الوحش، وقد استعيرت للنساء.

(٥) العضاريط: جمع العُضْروط، وهو الأجير والتابع.

لقد نهى ذبيان عن تربُّعِ ذي أُقُر، فعصته. وها هو ذا النعمان مقبل بجَمْع جَرّار لاكفاء لذبيان به، فما له هو نفسه إلا أن يلجأ الى حَرّة النار[1]، أو أن يضع بيته في حَرّة سوداء – وحجارة الحِرارسود – لا يقتدر المغيرون أن يبلغوها:

إما عصيت فإني غيرُ مُنْفَلِتٍ منّي اللِّصابُ فَجَنْبا حَرَّةِ النّارِ[2]
أو أضَعُ البيتَ في سَوْداءَ مُظْلِمَةٍ تُقَيِّدُ العَيْرَ لا يَسْري بها السّاري[3]
تَدافَعَ الناسُ عنا حينَ نركَبُها من المظالِمِ تُدْعَى أمَّ صبّار[4]

* * *

في شعر النابغة ما يدلّ على أن ابن الجُلاح أصاب ذُبيانَ في غزاته، حيث أقبل بجيش كثيف، فأصاب ذبيان قسراً فأضحوا عبيداً له. وأنعم عليهم، ولم يك بخيلا.

قال[5]:

صَبَحْتَ بني ذُبيانَ منه بغارَةٍ جَرَتْ لكَ مِنْها السّانحاتُ بأسْعُد[6]
أصابَهُمُ قَسْراً فأضْحَوا عِبادَه فجلّلَها نُعْمَى ولم يَتَشَدَّد[7]

---

(١) حَرّة النار: في الجنوب الشرقي من المدينة. انظر الخريطة في:
Doughty, Charles M. Travels in Arabia Desarta (Jonathan cape London), vol. 1.

(٢) اللِّصاب: جمع اللِّصْب، وهو الشِّعْبُ الصغير في الجبل أو مَضيق الوادي.

(٣) العَيْر: حمار الوَحش. والحرّة تقيده من كثرة أحجارها فلا تدعه يسير.

(٤) أم صبّار هي حَرّة النار.

(٥) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٢١٢.

(٦) السانحات من الطيور والظباء ما ذهبت من مياسر السائرين الى ميامنهم وهي فأل حسن عند بعض العرب (ومنهم ذبيان)، ومنهم من يتفاءل بالبارح وهو الذي يولي المياسر.

(٧) عباده: عبيده. يتشدد: يبخل.

هـ - في عهد عمرو بن الحارث الأصغر

يذكر شرّاح ديوان النابغة أنه قال قصيدته التي مطلعها[1]:

أهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ بَرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فذاتِ الأجاوِلِ

في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغَسّاني ببني مُرَّةَ بنِ عَوْفِ بن سَعْد بن ذُبْيان». [2]

ولكن القصيدة لا تتحدث عن وقعة قد تّمت، وإنما تتحدّث عن غزوة متوقّعة سيقوم بها عمرو بن الحارث الأصغر ردّاً على تربّعُ مُرَّة رَوْضَة نُعْمّي وذات الأجاوِل في المنطقة الواقعة بين الجِنَاب وعالِج، وهي المنطقة التي ذكرت أنها سبب الصراع بين غسان وذبيان.

ويُظهر النابغة فَزَعه من تلك الغزاة، فجعله فوق فَزَعِ وَعْلٍ من وعول جبل ذي المَطارة:

وقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزيدُ مَخافَتِي على وَعِلٍ من ذي المَطارَةَ عاقِلِ

ويُظهر عَمْراً يقودُ جَحْفَلاً ربْعيّاً كأنه حَرَّةُ راجِل ذات الحجارة السّود، وتبدو الخيل قد آدَها الجري من بُعد الشُّقّة، فنحُل عودُها، واصفرَّ نُخاع عظامها ورقَّ، وبَرَىٰ الصَّوّان حوافِرَها، فبدت الخيل - على نحو لِها وبري حوافرها - لطافاً كالقنا الذَّوابل:

مَخَافَةَ عمرو أنْ تكونَ جِبادُهُ يُقَدْنَ إلينا بينَ حافٍ وناعِلِ [3]

اذا استَعْجَلوها عن سَجيَّة مِثلها تبلَّغُ في أعناقِها بالجَحافِلِ [4]

شَوازِبُ كالأجْلامِ قد آلَ رِمُّها سَماحقَ سُفْراً في تَليلٍ وفائِلِ [5]

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٤١، والديوان (جمع محمد الطاهر بن عاشور) ص ١٩٥.

(٢) انظر الديوان بالتحقيق، ص ١٤١، ١٩٤.

(٣) الحافي: كناية عن الابل، ولو أنهم كانوا يلفّون أخفافها بالجِذام من الجلد. والنّاعل: كناية عن الخيل.

(٤) الجحافل: جمع الجَحْفَلة، وهي بمنزلة الشَّفَة من الانسان.

(٥) الشّوازب: الضوامر. والأجْلام: جمع الجَلَم، وهو المقص. والرِّمُّ: بقية المخ. والسَّماحيق: جمع السِّمْحاق، وهو الجلدة أو القشرة الرقيقة فوق عظم الرأس.
والتّليل: العُنُق. والفائل: اللحم الذي على نُقْرة الوَرِك.

بَرَى وَقعُ الصَّوّانِ حدَّ نُسورِها فَهُنَّ لِطافٌ كالصُّعَادِ الذوابلِ(١)

وتظهر صورة للخيل كالتي نراها في شعر الطُّفَيْل الغَنَوِيّ حيث نرى الخيل تطرح أولادها فتبدو أسلاؤها كالوَصائل الحُمْر، وتأتي الطير فتشبع من أولاد الخيل السُّخَّل:

ويَقْذِفْنَ بالأولادِ في كُلِّ مَنْزِلٍ تَشَحَّطُ في أسْلائها كالوصائلِ(٢)
ترى عافياتِ الطيرِ قد وَثِقَتْ لها بِشِبْعٍ من السُّخْلِ العِتاقِ الأكائلِ(٣)

وترى الخيل قد جُنِّبت مع الابل- أي قُرنت بها- حيث كانوا في الغارة الشُّحُوط يركبون الابل، ويقودون الخيل، إبقاءً عليها ليكونَ لها قوة وجلد عند القتال والغارة. ويحملون الابل المَراجل التي يطبخون فيها، ويحمّلونها الدروع. وقد جعل النابغة دروع غسان سابغةً ليّنة، قد حُفِظت خير حِفْظ، ووُقيت من الصدأ بدُرْدِيِّ الزيت، ومن التلف بحشوها بكَرَّة:

مُقَرَّنَة بالعِيْسِ والأُدْمُ كالقَنَا عليها الخُبُورُ مُحْقَباتُ المَراجلِ(٤)
وكُلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ ونَسْجِ سُلَيْمٍ كلَّ قَضّاءَ ذائلِ(٥)
عُلِينَ بكِدْيَوْنٍ وأُبْطِنَّ كَرَّةً فَهُنَّ وِضاءٌ صافِياتُ الغَلائِلِ(٦)

ولا بدَّ لي من التلبُّث هَوْناً عند جيش الغارة، وفيه تُرى الخيلُ والابل، فَتَجْنَبُ الابل

---

(١) النسُور: جمع النِّسْر، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفَرس من أعلاه. والصُّعاد: جمع الصُّعْدَة، وهي قناة الرّمح.

(٢) تَشَحَّط: تضطرب. والأسْلاء: جمع السَّلَى، وهو الغشاء الرقيق الذي يحيط بالجنين ويخرُجُ معه من بَطْنِ أمه. والوصائل: ثيابٌ حُمْر فيها خطوط خضر.

(٣) السُّخْلَ: كلّ شيء لم يُتَمَّمْ، وجمعها سُخَّل وسُخَّال (القاموس المحيط للفيروز آبادى، محمد بن يعقوب، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢- مادة سخل) وقد جعل النابغة (السُّخل) للجمع. والآكائل: جمع الأكيلَة، وهي أكيلةُ السَّبُع التي يأكلها إذا افترسها.

(٤) الخُبُور: جمع الخَبْر، وهي المزادة ومُحْقَبات المَراجل: أي في حقائبها المراجل التي يطبخون فيها.

(٥) الصَّموت: الدرع الثقيلة. والنَّثْلَة: الواسعة. والتُّبَّعِيّة: نسبة إلى تبابعة اليمن وسُلَيْم: سليمان، وأراد بسليمان داود، لأن داود أول من عمل الدّروع في اعتقاد العرب. والقضاء: التي فيها مسامير تشبه القضض وهي الحصى الصغار، وذلك أمتَنُ للدّرع. والذائل: الطويلة السابغة.

(٦) الكِدْيَوْن: وَرْدِيّ الزيت، وهو ما رسب في قاع إناء الزيت. والكَرَّة: البَعْر والرِّماد.

بالخيل، وتُحْمِل الابل الرجالَ وشِكَّة الحرب وأدوات الطعام، وتكون الخيل خالية غير مُمْتطاة. فاذا حانت ساعة المعركة خُلِّيَت الابل وامتُطِيت الجياد، فهي أداة الحرب الأساسية.

وسبيل الجاهليين في حفظ الدُّروع من الصدأ والتَّلَف – كما أشار النابغة – كانت بطلائها بدُرْديّ الزّيت وحَشْوها بالرّماد والبَعْر. وهذه إشارة مهمة في صَوْن آلة من آلات الحرب.

و – ملاحظة من أبي عبيدة

قال أبو عبيدة: «لم أسمع من تعنيف النابغة لبني أسد إلا القصيدة البائية[1] التي قالها في مدح الحارث بن أبي شَمِر، حين ركب إليه ليكلّمه في أسرى بني أسد وبني فَزارة، فأعطاه إياهم وأكرمه، وقد خرج كلامه في الحُسْن والاستواء حتى كأنه يصف ويذكر ديراً بعيدة»[2].

والنابغة لم يذكر أسداً فقط – وهم حلفاء ذبيان – كأنه ذَكَر ديراً بعيدة وإنما ذكر قبيلته ذبيان أيضا كأنه يذكر قوماً غرباء، وكأنه شاعر غسانيّ، يتهدّد ذُبيان بقوة غسان، فيهوّل في قوتها، ويرسم صورة مفزعة لها، ليخوّف بها قبيلته ذُبيان، ويَصْدَعَ صَفائها، ويُوهنَ من عزائمها.

وموقف النابغة من قومه لا أكاد أجد له نظيراً في الشعر الجاهلي!

أما التهويل في قوة غسان، فتراها عندما يمدح النعمان بن الحارث، فيصوّره مُغيراً على قومه، قائداً الجياد من الجَوْلان، عليها مَساعيرُ حربٍ من شِيْب غسان ومُرْدِهم، حتى بَلَغْنَ أهل المِلْح، وكنّ ينضَحْن بالعرق كما يتبزّل الماء من الرَّوايا الوُفْر.

---

(١) أيَ التي مطلعها:

إنـــي كأنـــي لَدَى النّعمـــان خَبَّـــره بعضُ الأُوُدّ حديثاً غيـــرَ مَكْـــذُوبِ

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٥٤ (الحاشية).

وأما رسم صورة مفزعة لهم، فتراها عندما يمدح عمر بن الحارث الأصغر، فيخوّف بها قومه، ويصوّره ليثاً ضاريا مُنْقَبضا مُسْتَوفِزاً لِفِراس قومه، فيسوق نساءهم سبايا، ويُردفهنّ خلفَ أتباعه وأُجَرائه، ولا يوقّين فاحشة، فيذرين الدّمع، وعلى وجوههن سيماء إنكار الرّق.

وتحذير النابغة سلبيّ مُوهن ناكص، فمانرى- أو لم أرَ- شاعراً جاهليا يدعو قومه إلى إخلاء منطقة واسعة لخصومهم، وإلى الفِرار إلى الجِرار، والنّجاء في الجبال.

★ ★ ★

وقد جرّ موقف النابغة عليه خصومة بعض سادات قبيلته، ومنهم حِصْن بن حُذَيفة الفَزاريّ الذي اتهمه النعمان بجَمْع الجموع لمحاربة غسان، وبَدْر بن حُذِار، وحُزَيْم بن سَيّار، وزَيّان بن سَيّار صهر النابغة.(١)

(٥)
بين غسان وطيئ

قال ابن سعيد في طيّيء: «وهي الرَّحى العظيمة التي نزلت حين خرجت من اليمن بعد سيل العَرِم على بني أسد، فحاربتها الى أن اصطلحتا على الجِوار، فحلَّتْ طيّيء بجبلي أجأ وسلمى من نجد الحجاز الى اليوم».(٢)

وقال اليعقوبي: «وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة، وكانت لطيىء محالفة متفقة معها، ودارهما تكاد أن تكون واحدة».(٣)

---

(١) انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٧٩- ٨١.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٢٢٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ١: ٢٦٣.

وكانت طيّيء تقيم علاقة متعادلة مع المناذرة وغسان معاً، فبينها وبين المناذرة عقد ألا تغزو إحداهما الأخرى،[1] وبينهما وبين غسان إيلاف. فلما ذرّ الخلاف بين قبيلتي طيىء: الغَوْث وَجَدِيلَة، قام الحارث بن جَبَلَة الغسانيّ بالاصلاح بينهما- قال ابن الأخير عن يوم اليَحاميم: «وهو بين قبائل طيّيء بعضها في بعض. وكان سبب ذلك أن الحارث بن جَبَلَة الغساني كان قد أصلح بين طيّيء، فلما هلك عادت عادت الى حربها»[2].

فأن يقوم الحارث بن جبلة بالاصلاح بين أحياء طيّيء إشارة دالّة على مكانة غسان والحارث عند الطائيين.

وثمة إشارة أخرى يمكن الاستدلال بها على مكانة غسان، وردت في شعر قيس بن جِرْوة الملقّب بعارق الطائي، قال:[3].

واللهِ لو كانَ ابنُ جَفْنَةَ جارَكُمْ ما إنْ كَساكُم غُصَّةً وهَوانا
وسَلاسِلاً يبرُقْنَ في أعناقِكُمْ واذَنْ لقَطَّع تلكُمُ الأقرانـــا
ولكانَ عادتُه على جيرانِه ذَهَباً وَرَيْطاً رادِعا وجِفانا[4]

---

(١) الحماسة، شرح المرزوقي. ص ١٤٦٦.
ولكن هذا العقد تعرض للنقض عندما قام عمرو بن هند بغزو طيّيء، ويمكن تتبّع أثر هذا الغزو في شعر عارق الطائي في نشوة الطرب، ١: ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ (الطابعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ)، ١: ٣٨٨.

(٣) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، النقائض (تحقيق بيفار، بريل، ليدت، ١٩٠٧)، ٢: ١٠٨٣.

(٤) الرَّيْط: جمع الرَّيْطَة، وهي الثوب الليّن الرقيق- والرّادع: المَرْدع، المُلَمَّع بالزعفران أو بالطيب. والجِفان: جمع الجَفنة، وهي القَصْعَة.

ومناسبة هذه الأبيات – كما ذكر ابن الكلبي – أن «عمرو بن هند غزا اليَمامةَ، فرجع مُنْفِضاً، فمرّ بطيءٍ، فقال له زُرارة بن عُدَس[1]: أصِبْ من هذا الحي شيئا. قال: ويلك! إن لهم عَقْداً. قال: وان كان، فإنك لم تَكْتب العقد لهم كُلّهم، فلم يَزَلْ به حتى أصاب نسوة وأذْوادا[2]، فقال قيس:[3].

أكلُّ خَمِيسٍ أخطأ الغُنْمَ مَرَّةً ... وصادفَ حَيّاً دائماً هو سائِقُهْ
فأقْسمتُ لا أحتلُّ إلا بصَهْوَةٍ ... حَرامٌ عليـك رَمْلُهُ وشَقائِقُـهْ[4]
فأقسمتُ جَهْداً بالمنازِلِ منْ مِنَى ... وما ضمَّ من بَطْحائهنّ دَرادِقُهْ[5]
لئن لم تغيّرْ بعضَ ما قد صَنَعْتُمُ ... لأنتَحِيَنْ للعَظْمِ الذي أنا عارِقُهْ

وما أروم أن أتلبّث عند عارق، فشعره في هذه المناسبةَ وَفْر، وهو في علاقة طيّء بالمناذرة أدخل. وما وقفت عنده إلا للمقابلة التي عقدها عارِقٌ بين عمرو بن هند وابن جفنة الحارث بن جَبَلَة: فلو كان الحارث جاراً لطيّء لما أذاقها الهوان ولَكَان قد عادَهُم بالمال والكساء والطعام.

* * *

وعلى الرغم من دخول طيىء حلف أسد وذبيان، فإن علاقتها بغسان والمناذرة قد ظلّت متوازنة. وقمينٌ ألا يَعْزُب عنا معنى وجود إياس بن قَبيضَةَ الطائي في الحيرة، ومبلغ نفوذه فيها، حتى إن الفرس قد عيّنوه على الحيرة خَلَفاً للنعمان بن المنذر، آخر أمراء المناذرة.

---

(١) زُرارة بن عُدَس: سيّد من سادات تميم، له أخبار كثيرة. انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٧٦، ٢٣٦، ٤٥٠.

(٢) الأذواد: جمع الذَّوْد، وهي في الجِمال من ثلاثة الى عشرة.

(٣) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة،؟)، ص ١٧٠.

(٤) الشّقائق: جمع الشّقيقة، وهي الفُرْجة بين الجبلين تُنْبت العشب.

(٥) الدَّرادِق: جمع الدِّرْدَاق، وهي صغار الإبل وغيرها.

أخشى أنني أستبق الأحداث، فأجدرُ بي أن ارتدّ إلى عهد الحارث الأصغر وابنه النعمان، إذ روى ابن الكلبي – وهو راوية ديوان حاتم الطائي – أن طيّئا «أغارت على إبلٍ للحارث بن عمرو الجَفْني، وقتلوا ابنا له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلَنَّ ويستبيَنَّ الذَّراري، فحلف ليقتلَنَّ من الغَوْث أهل بيتٍ على دمٍ واحد، فخرج يريد طيّئا، فأصاب من بني عَدِيّ بن أَخْزَم تسعين رجلا، رأسُهُمْ وَهْم بن عمرو من رَهَطِ حاتم»[1].

ويمكن تصحيح الرواية استنادا إلى ما مرّ على علاقة غسان بأسد وذبيان، وقد تبيّنا أن النعمان بن الحارث الأصغر كان يَحْمي حمى بين عالِج (النُّفود) والجِناب (الجَهْراء)، ويظهر أن الحملة التي أصابت أسداً وذبيان أصابت طيئا أيضا، فهي حملة واحدة فيما أرجّح.

صدى الحملة في شعراء طيء

لا نجد – أو لم أجد – صدى لهذه الحملة في غير شعر حاتم الطائي.

ذكر ابن الكلبي أن حاتما كان بالحيرة عندما غزا النعمان طيّئا، فلما قدم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فتقول: يا حاتم أُسِر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى الحارث ومعه مِلْحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا معه.[2].

★ ★ ★

وفي ديوان حاتم ثلاث قصائد في هذه المناسبة، يظهر أنه قال أولاهنّ إذ عزم على السفر إلى الحارث:[3]. ومطلعها: –

---

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٨٧ – ١٨٨. وفي ديوانه (طبعة دار صادر بيروت؟ ص ٥٥ «أغارت طيّيء على ابل للنعمان بن الحارث بن عمرو ورجل من بني جفنة، وقتلوا ابنا له». وفي الموفقيات للزبير بن بكار (تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢)، ص ٤٤٣.
«أغارت طيىء على إبل النعمان بن الحارث بن ابي شمر الجفني، وقتلوا ابنا له». وفي الأغاني (تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩) ١٧ : ٢٨٨ أغارت طيّيء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال هو الحارث ابن عمرو رجل من بني جفنة، وقتلوا ابنا له».

(٢) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) ص ١٨٨. والموفقيات، ص ٤٤٣. والأغاني، ١٧ : ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٣) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ١١٨.

ألا إنني قد هاجَني الليلةَ الذِّكَرْ وما ذاكَ من حُبِّ النساءِ ولا الأَشَرْ

ويتبدّى في هذه القصيدة – أو المقطوعة[1] – غموض مصير الأسرى الطائيين، فحاتم لا يدرى ما الحارث فاعلٌ بهم: أيخلّي سراحهم، ويردّهم إلى أهليهم، أم يستبقيهم أو يقتلهم صَبْراً أو يسترقّهم؟

ومصيرُهم بين خير مأمول من الحارث – خير الناس حيّاً وميّتا – وشرّ متوقّع سيحتمله هو وقومه، كما احتملوا شرّاً قبله، وصبروا عليه:

فيا ليتَ خير الناسِ حيّاً ومَيّتاً يقولُ لنا خيراً وَيُمْضي الذي ائتَمَرْ
فانْ كانَ شَرٌّ فالعَزاءُ بأنّنا على وَقَعاتِ الدَّهْرِ من قَبْلِها صُبُر

ويحدّد حاتم، من خلال دعاء بالسُّقيا، مقرّ الحارث بن عمرو، فيجعله جنوبَ جبال الشَّراة منَ مآب الى زُغَر:

سَقَى اللهُ ربُّ الناسِ سحّاً وديمَةً جَنوبَ الشَّراةِ من مَآبٍ إلى زُغَرْ[2]
بلادَ آمرِىء لا يَعْرِفُ الذمُّ بيتَهُ له المَشْرَبُ الصافي وليسَ له الكَدَرْ

ويستوقف هذا التحديدُ لبلاد الحارث الغسانيّ «جنوبَ الشَّراة منَ مآب إلى زُغَر»: يستوقف جغرافياً لأن جبال الشراة كلّها اليوم تقع جنوب جبال مآب (مؤاب اليوم)، ويفصل بينهما وادي الحَسا. أما جبالُ مُؤاب فتقع بين وادي المُوجِبِ شَمالاً ووادي الحَسا جنوبا.

فتحديد حاتم لا يوافق أسماء المواقع اليوم. أكان حاتم لا يعرف ديار غسان لأنه ليس من أهلها، فأخطأ في تحديد المواقع، أم أن أسماء المواقع اليوم غيرها في زمن حاتم؟

والجواب عن هذا التساؤل يحتّم عليّ ولوج باب من أبواب الجغرافية التاريخية، فتحديد الشراة وَمآب وزُغَر يحتاج إلى بحث خاص من أهل الاختصاص بذاك الباب.

---

(١) لأنها تسعة أبيات.

(٢) السّح: الصّبُّ المتتابع. والديمة: المطر يدوم يومين وثلاثة مع سكون.

وإن جاز لي أن أقول في هذا المقام شيئاً أقل: يبدو أن رواية البيت هي:

سَقَى اللهُ الناسَ سَحّماً وديمَةً جنوبَ السَّراةِ من مَآبٍ إلى زُغَرْ

فهي السَّراة وليس الشَّراة، وهذه هي الرواية التي أثبتتها طبعة صادر[1] من ديوان حاتم، وهي المُثْبتة في الأغاني[2] والموفقيات.[3]

والسَّراة هي سلسلة الجبال الممتدة غرب جزيرة العرب من شمالها الى جنوبها، وتُحدَّد أجزاؤها باسم المنطقة التي تكون فيها، فيقال بذلك: سَراة الحجاز وسَراة اليمن.

وجبال الشَّراة ومؤاب وعجلون والسويداء امتداد طبيعي لسلسلة جبال السرَّاة، وهي التي أطلق عليها حاتم (السّراة) أو سَراة الشام إذا انسحب اليها ما انسحب على السَّروات في الجزيرة.

فكأنّ حاتماً أراد جنوب سراة الشام حيث تقع بالفعلَ مآب وزُغَر.

★ ★ ★

وثمة مسألة أخرى في هذا البيت وهو مَآب، فقد جعلها حاتم مدينة أو قرية، وهي كذلك عند ياقوت، حيث قال: «وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البَلْقاء، قال أحمد بن محمد بن جابر: توجّه أبو عبيدة بن الجرّاح في خلافة أبي بكر في سنة ١٣

(١) ص ٥٦

(٢) ١٧: ٢٨٩.

(٣) ص ٤٤٤.

بعد فتح بصرى بالشام الى مآب من أرض البَلْقاء وبها جمع العدوّ فافتتحها على مثل صُلْح بُصْرى.» (١).

وأرجّح أن مآب مدينة مأدبا اليوم.

وأما زُغَر فمدينة من مدن قوم لوط عليه السّلام، وقد ورد ذكرها في العهد القديم باسم (صُوغَر) في الطبعة العربية(٢)، و (صوعر) צוֹעַר في الطبعة العبريّة(٣) وهي المدينة التي لجأ اليها لوط عليه السلام.

وزُغَر كثيرة الورود في كتب الجغرافيين العرب ذكرها ابن حَوْقل(٤) والاصطخري(٥) وياقوت(٦). وقال عنها ابن شدّاد: «هي مدينة حارّة متصلة بالبادية، وبها نِيْل لا يُقَصّر عن نيل كابُل»(٧)

وقد لفتني من تعليق الدكتور سامي الدهّان – محقّق الأعلاق الخطيرة – ما ذكره أن «زُغَر هي قرية الشيخ عيسى في جنوبي البحر الميت»(٨)، فسألت زميليّ الدكتور حسن عبد القادر والدكتور محمود أبو طالب، فأخبراني أنه لا توجد قرية باسم زغر اليوم، ولا قرية باسم الشيخ عيسى كما ذكر الدكتور سامي الدهان.

★ ★ ★

---

(١) معجم البلدان – مادة مآب.

(٢) سفر التكوين، اصحاح ١٩ (مطبعة عنتر، القاهرة، ١٩٦٩).

(٣) צוֹעַר - תּוֹרָה נְבִיאִים וּכְתוּבִים 1951).

(٤) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص ١٦٠.

(٥) الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك (تحقيق محمد عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١)، ص ٤٧.

(٦) معجم البلدان، مادة زغر.

(٧) ابن شداد، عز الدين أبو محمد محمد بن علي إبراهيم الجلبي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الشام (تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢). ص ٦٧.

(٨) نفسه، ص ٢٨٩ (الحاشية).

وذكر ابن الكلبيّ أن حاتماً» قال في أُسارَى قومه، وكانوا عند بعض الملوك، فلما سمع هذا الشعر وهبهم له»[1].

قـال:[2]

أَبَى طُولُ لَيْلِكَ إلا سُهُـودا ... فما إنْ تُبينُ لِصُبْحٍ عَمُودا
أبيتُ كئيباً أراعـي النُّجـومَ ... وأوجِعُ من ساعدَيّ الحديـدا
أُرَجِّـي فَواضِلَ ذي بَهْجَـةٍ ... من الناسِ، يَجْمَعُ حَزْما وجُودا
نَمَتْـهُ أُمامَـةُ والحـارِثا ... نِ حتى تَمَهّلَ سَبْقاً جَديدا
كَسَبْـقِ الجـوادِ غَداةَ السرِهّا ... نِ أَرْبَى على السِّنّ شَأْواً مديدا
فأجْمِعْ فِداءٌ لك الوالـدانِ ... لما كنتَ فينا بِخَيْرٍ مُريـدا
فَتَجْمَعَ نُعْمَـى على حاتِمٍ ... وتَحْضُرَهـا من مَعَـدٍّ شُهُـودا
أمِ الهُلْكُ أدنى فما إن عَلِمْتُ ... عليّ جُناحـاً فأخشَى الوعَيـدا
فأحسِنْ فلا عارَ فيما صَنَعْت ... تُحْيـي جُدوداً وتَبْـري جُدودا

فالحارث بن عمرو نماه حارثان وأمامة. ويغلب عليّ الرُّجْحان أن الحارث هو الحارث الأصغر، وأن الحارثين اللذين نمياه هما الحارث بن جبلة (وهو الحارث بن أبي شمر الأعرج)، والحارث بن ثعلبة. أما أمامة فاسم أمه، أمّ الحارث الأصغر.

* * *

وقد أطلق الحارث من كان أسرهم من رهط حاتم، فقال:[3]

أبلِغِ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي ... حافِظُ الـوُدِّ مُرْصِدٌ للثَّـوابِ
ومُجـيبٌ دُعاءَه إنْ دَعانِـي ... عَجِلاً، واحداً، وذا أصْحابِ

---

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ٢٠٦.
(٢) نفسه، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.
(٣) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤ – ١٩٧.

فالحارث هو الحارث بن عمرو، وحاتم حافظ للودّ، ومقدّر صنيع الحارث عليه. وهو يَعِده أن يلبّي الحارث اذا دعاه، هو و حده، أو هو وأصحابه.

إنما بيننا وبينك فاعلم سَيْرُ تِسْعٍ للعاجِلِ المُنْتابِ

فَثَلاثٌ من السَّراةِ إلى الحلبط للخَيْل جاهداً والرّكاب[1]
وثلاثٌ يَرِدْنَ رَهْواً وثلاثٌ يُعْرُوْنَ بالإعْجاب[2]
فاذا ما مَرَرْتَ في مُسْتَطِرٌ فاجْمَعِ الخيلَ مثلَ جَمْعِ الكِعاب[3]

فبين الحارث وطيّىء سير تسمع ليال لمن قصد الزيارة، فعجّل فيها: ثلاث من السّراة حيث ديار غسان إلى الحَلْبَط، وثلاث من الحَلْبَط الى تَيْماء، وثلاث من تَيْماء الى ديار طيّىء حيث الطريق بينهما واضح.

ليت شعري متى أرى قُبَّةً ذا تَ قِلاعٍ للحارثِ الحَرّابِ
بِيَفاعٍ، وذاكَ منها مَحَلٌّ فَوْقَ مَلْكٍ يَدينُ بالأحسابِ

أُخلِقُ بهذين البيتين أن يكونا في رحلة الذّهاب إلى الحارث وليس في رحلة الإياب!

والحارثُ في قُبّة ذاتِ قلاع على يَفاعٍ من الأرض، وهو حَرّاب،[4] وهذا لقب للحارث الأصغر مثلما كان لقبُ الوّهاب[5] للحارث بن أبي شَمِر.

★ ★ ★

---

(١) أخذت رواية هذا البيت من الديوان (طبعة صادر)، ص٢٧ وفي (الحَلْبَط) اختلاف في الرواية أثبت على حاشية الديوان. ونجد بعض التشابه بين اسماء الأماكن في ديوان حاتم وديوان امرىء القيس. وورد في ديوان امرىء القيس (الحلّيت) انظر الديوان (تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٧٨، ٣٩٦.

(٢) الرَّهو: السير السهل. ويُعْرَوْن: يَطْمَئِن.

(٣) المُسْتَطِر: الطريق الممتدّ المستقيم. والكِعاب: جمع الكعب، وهو العظم الذي يلعب به الأولاد، ويسمى إلى اليوم بهذا الاسم.

(٤) انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م)، ص ٥٥، ٢٧٥.

(٥) انظر ديوان علقمة الفحل (تحقيق لطفي الصقّال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي حلب، ١٩٧٠). ص٣٩.

ومما يلفت في هذه القصائد إباء حاتم وشعوره بالعزّة: فهو لم يعتذر اعتذار النابغة حين أوهن ذبيان وأوهاها، وتحدث عنها كأنه ليس منها، أو كأنه غسانيّاً أكثر منه ذبيانيا. فحاتم لا يرهب الخزاة وحوله قومه الثُّعَليّون كأنهم اللّيوث[1]، وقومه نشاوى «لَهُمْ من كلِّ سائمةٍ جَزَر»[2] وَوَهْمُ بن عمرو – وهو أحد الأسرى الأشراف – جلد جرىء بعيد الغارة. وهو – أي حاتم – إذا جاء إلى الحارث لإطلاق سراح الأسرى، فانه يجيء «كريما لا ضعيفاً ولا حَصِرْ»[3].

ويستوقف أيضاً ذلك التّصافي الذي تمّ بين الحارث وحاتم، واستعداد حاتم لتلبية دعوة الحارث، هو وأصحابه، إذا دعاهم.

وكأني بحاتم قد دعا الحارث الى زيارة ديار طيّيء، فوصف له الطريق.

★ ★ ★

وقد ودِدْت أن أرى في هذه المناسبة شعراً لزيد الخيل الطائي، فارس طيّيء وشاعرها ولكن يبدو أن الشعراء الفرسان يَصْدُرون عن منهل واحد، فتراهم يُجْبِلون عند الهزيمة ويتقدّحُ زَنْدُهم عند النصر.

---

(١) الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٦.
(٢) نفسه، ص ١٨٩.
(٣) نفسه، ص ١٩٠. والقافية مقيّدة.

(٦)
بين غسان وضبّة
أ - اشارة في شعر الفرزدق

للفرزدق خوْولة في بني ضَبّة جعلته يفخر ببعض أيامهم في الجاهلية، في نقائضه مع جرير.

وفي بعض ما قاله صلة بأيام ضَبّة مع غسّان، قال:[1]

إن الذي سَمَكَ السماءَ بني لنا بَيْتاً دعَائمُهُ أعــزُّ وأطْــوَلُ

....

إنّ ابنَ ضَبَّة كان خيراً والداً وأتمُّ في حَسَبِ الكرامِ وأفْضَلُ
وَهُمُ على ابنِ مُزَيْقِياءَ تنازلوا والخيلُ بينَ عَجاجَتَيْها القَسْطَلُ
ومحـرِقًا صَفَـدُوا إليـه يمينـه بصِفادِ مُقْتَسِرٍ أخـوهُ مكَبَّـلُ
مَلِكَـانِ يومَ بُزاخَـةٍ قَتَلُوهُمـا وكلاهُمـا تاجٌ عليـهِ مكلَّـلُ
يا ابنَ المراغَةِ أينَ خالُكَ إنني خالي حُبَيْشٌ ذو الفَعالِ الأفْضَلُ
خالِي الذي غَصَبَ المُلوكَ نُفوسَهُمْ وإليه كانَ حِباءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ

وقد شرح أبو عبيدة هذه الأبيات، فذكر يومين لِضَبّة على غسان: بُزَاخَة، وإضَم، وأورد شعراً لبعض شعراء ضَبّة في هذين اليومين.

ب - يوم بُزَاخَـة

قال أبو عُبيدة: «وأما حديث مُحَرِّق وأخيه زياد يوم بُزَاخَة، فانه أغار محرِّق الغساني وأخوه في إياد وطوائف من العرب من تَغْلِب وغيرهم، على بني ضَبّة بن أُدّ ببُزاخَة،

(١ شرح ديوان الفرزدق (جمع وشرح عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة؟) ٢: ٧١٤-٧١٩.

فاستاقوا النَّعَم. فأتى الصريخ بني ضَبّة، فركبوا فأدركوه، واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إن زَيْد الفَوارس حَمَل على مُحَرِّق، فاعتنقه وأسره، وأسروا أخاه أسره حُبَيْش بن دُلَف السِّيْدِيّ، فقتلهما بنو ضَبَّة (وكان يقال لأخي محرِّق فارس مَرْدُود)، وهُزِم القوم، وأُصيب منهم ناس كثير». (١)

وتذهب بي الظّنون مذهبها في نسبة اليوم إلى مُحرِّق الغَسّاني؛ فلقب مُحَرِّق قد لحق باثنين – أو أكثر من العرب – أشهرهما مُحَرِّق من المناذرة، وهو عمرو بن هند لفعلته الشنعاء بتميم حين حرّق مائة منهم أحياء، وهو خَبَرٌ شائع شَرُود. وثانيهما مُحَرِّق من غسان وهو الحارث بن عمرو بن عامر من متقدّمي امراء غسان، لحرقة الحيرة.

وليس هذا مبعثَ الظّن، وإنما مبعثه اشتراك تغلب وإيادِ محرِّق الغساني في الغارة على ضَبّة. وهذا بعيد، فعلاقة إياد وتغلب بالمناذرة أدْخَلُ من علاقتهما بغسان، لقرب الديار، وأخبارهما مع المناذرة كثيرة.

ولعلّ المناسبة الوحيدة التي التقت فيها غسان بتغلب، تلك المناسبة التي أورثت بينهما عداء، والتي جاء خبرها عند ابن الاثير، وهو خبر رواه أبو عبيدة، رواية يوم بُزاخة نفسه.

قال ابن الاثير: قال أبو عبيدة: إن بكرا وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي اصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مُرة بن هُمام فغزا بهم المُنذر بني آكل المُرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند، وقال: اغْز أخوالك فغزاهم، فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرُار، وأسروا، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب ولحقت بالشام....

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبي شَمِر الغساني، فمرّ بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي، فلقيه فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يَعلموْا بمرورك، فقال: لئن رجعت

---

(١) النقائض، ١: ١٩٥. وانظر الخبر في: الممتع في علم الشعر وعمله، عبد الكريم النهشلي القيرواني (تحقيق منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٧٨) ص ١٥١.

لاغزونّهم غزوة تتركهم أيقاظا لقدومي ! فقال عمرو : ما استيقظ قوم إلا نَبُل رأيهم وعزّت جماعتُهم ، فلا توقظن نائمهم . فقال كأنك تتوعّدني بهم ، أما والله لتعلمنَ إذا نالت غطاريف غسان الخيل في دياركم أن ايقاظ قومك سينامون نَومة لا حُلم فيها ، تجتث أصولهم ، وتَنفي فَلّهم إلى اليابس الجَدَد والنازح الثّمد !(١)

ثم رجع عمرو بن كُلْثوم عنه وجمع قومه ، وقال :

ألا فاعلَمْ أبيتَ اللَّعْنَ أنا أبيتَ اللَّعنَ نَأبَى ما تُريدُ
تَعَلَّمْ أنَّ مَحْمَلَنا ثَقيلٌ وأنّ دَبارَ كَبَّتِنا شَديدُ(٢)
وأنا ليسَ حيٌّ من مَعَدٍّ يُقاوِمُنا إذا لُبِسَ الحَديدُ

فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب ، فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم ، ثم انهزم الحارث وبنو غسان ، وقتل أخو الحارث في عدد كثير ، فقال عمرو بن كُلْثوم :

هلّا عَطَفْتَ على أخيكَ إذا دَعا بالثُّكْلِ وَيْلَ أبيكَ يا ابنَ أبي شِمَرْ
فَذُقِ الذي جَشَّمْتَ نَفْسَكَ واعترف فيها أُخاكَ وعامِرَ بن أبي حُجُر(٣)

* * *

فأن يكون هذا اليوم مع عمرو بن هند أرجح .

ولا يظهر من قصيدة إياس بن القائف أنّ محرِّقاً قُتِل في ذلك اليوم ، وقد تحدّث فيها ابن القائف عن إقبال جيش مُحَرِّق ، فتلقّاه فوارس ضبة ، ومنهم زيد الخيل بن حصين بن ضِرار الضَّبّي وابنا مُنْذِر ، وسَمَوْا له بالطعن ، فرماه زيد الخيل بِغُرَّة فرسه (كامل) ، وكأنه ليثٌ ضارٍ بكفيّه المنية :

---

(١) الفَلّ : المنهزمون (يقال للواحد والجمع) . والجَدَد : المكان المستوي . والنّازِح الثّمد : المكان ذو الآبار بعيدة القاع قليلة الماء شأن آبار الصحراء .

(٢) الدّبار : الهلاك . والكبّة : الدّفعة من الرجال في القتال .

(٣) الكامل في التاريخ ، ١ : ٣٢٥ .

قال :[1]

نِعْمَ الفَوارسُ يومَ جيش مُحَرِّقٍ ٭ لَحِقُوا وَهُمْ يَدْعُونَني لَضِرارِ
زيدُ الفَوارسِ كرُّ وآبنا مُنْذِرٍ والخَيْلُ أوجَفَها بنو جَبّارِ[2]
حتى سَمَوْا لمُحَرِّقٍ برِماحِهِمْ بالطَّعْنِ بينَ كتائب وغُبَارِ
يَرْمي بِغُرَّةِ كاملٍ وبنَحْرِهِ خَطَرَ النُّفوسِ وأيَّ حينِ خِطارِ
وكَأنّ زيداً زيدَ آلِ ضِرارِ لَيْثٌ بكَفّيهِ المنيَّةُ ضارِ

وانجلت المعركة عن قتلى من جيش محرِّق تَحُطّ عليهم عافياتُ الطّير، وعن رماح تكسّرت قناها :

جَعَلُوا لِعافي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقْعَةً صَرْعَىً تَضَوَّرُ في قِنا أكْسارِ

ولا نَجدُ ذِكْراً في قصيدة ابن القائف لفارس مَرْدُودٍ الذي ذكر ابن الكلبي[3] وابن الأنباري[4] أنه رجل من غسان، واستشهدا بقول ربيعة بنَ مَقْروم الضّبّي[5]

وفارِسَ مَرْدُودٍ أشاطَتْ رماحنا وأجْزَزْنَ مَسْعوداً ضِباعاً وأذْؤبا[6]

ج - يوم إضَـم

يبدو أن في شمال الجزيرة أكثر من مكان كان يسمّى إضما[7] وأقرب تحديد لما نحن فيه ما ورد في قول سلامة بن جَنْدلٍ التميمي - وبين تميم وضبّة اختلاط - حيث حدّد إضَماً « بين الدَّكادِكِ من قَوٍّ فَمَعْصُوبِ »[8]، وَقوٌّ في الجناب، الجَهْراء اليوم، كما ذكرنا من قبل.

---

(١) النقائض، ١ : ١٩٥.
(٢) أوجَفَ الخيلَ: حثّها على الجَرْي.
(٣) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها (تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ٩٩.
(٤) شرح المفضليات، ص ٧٤٠. (٥) انظر القصيدة في شرح المفضليات، ص ٧٣٢ - ٧٤٠.
(٦) أشاطَ: أهلك. وأجرزَ: أطعم. (٧) أنظر معجم البلدان، مادة إضم.
(٨) من مطلع قصيدته:

يا دار أسماءَ بالعلياءِ من إضِمِ بين الدّكادِكِ من قَوٍّ فَمَعْصُوبِ

أنظر ديوانه (تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨)، ص ٢٢٣.

ومن خبر ذلك اليوم أن عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر «أقبل حتى أغار على بني ضَبَّة فأصاب بني عائذةَ بنِ مالك بن سعد بن ضَبَّة، وقد كانوا أوقدوا مع جِرْوة وشَقْرة ابني ربيعة بن ثَعْلَبة بن سعد بن ضَبَّة ناراً للحرب، فقال الملك: ما هذه النار التي تُدخّن علينا؟ قالوا: هذه شَقْرة وجروة قد أوقدوا ناراً للحرب! قال: احملوا عليهم. فحملوا عليهم فأبادوا يومئذ بني عائذة».[1]

ويَذكر أنّ ضَبّة أسرت عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر، أسره حُبَيْش بن دُلَف الضبّي، فجزَّ ناصِيته، ومنَّ عليه، واشترط عليه جُعْلاً يؤديه في كل سنة إليه.[2]

ويقال: «جاء رجل من بني قيس بن عائذة يُدْعى عامر بن ضامر فقال: والله لأطعنَنَّ اليوم طعنةً كَمَنْخِرَ الثَّور النِّعِر[3]، فطعن ابنَ مُزَيْقِياء وقتله وانهزم أصحابه هزيمة قبيحة، فقال ربيعة بن مَقْروم:

وآلَ مُزَيْقِيـاءَ وقـد تَداعَتْ حَلائِلُهُمْ لنا حتى قَرِينـا
صَبَرْنا بالسّيوفِ لَهُمْ وكانت مَعاقِلُنا بِهِنَّ إذا عَصِينـا

وقالت نائحته:

لَعمْري لقد غادَرْتُمُ يوم رُحْتُمُ على إضَمٍ منكم عَقِيرةَ عامرِ
لقد خَطَّطَ الأنواءَ طَعْنَةُ عامِرٍ ألا يا قتيلا ما قتيلُ ابنِ ضامرِ»[4]

★ ★ ★

---

(١) النقائض، ١: ١٩٥-١٩٦.

(٢) الحلي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤)، ١: ١٧٠ و ٢: ٥٢٦.

(٣) الثور النِّعِر: الثور الذي دخلت في مَنْخِرِه النَّعَرة، وهي ذبابة زرقاء تسقط على الدواب فتؤذيها، وتدخل في أنوفها فتهيجها.

(٤) النقائض، ١: ١٩٦.

وليس في الشعر ما يدلّ على اسم الأمير الغساني الذي أسره حُبَيْش ولا اسم الغساني الذي قتلته ضَبّة أو قتله عامر بن ضامر.

ويُستبعد كثيرا أن يكون حُبَيْش أسر عمرو بن الحارث الأصغر ممدوح النابغة الذبياني، لأنّ مثل هذا الأسر ما كان ليمرّ من غير أن يكون له صدى في الشعر الجاهلي.

وربيعة بن مَقْروم الذي استشهد به أبو عبيدة عن يومي بُزاخَة وإضم شاعر مخضرم «عاش في الإسلام دهراً وشهد القادسية»[1]، وله في القادسية شعر[2]. ويغلب عليّ الظّن أن الأبيات التي استشهد بها أبو عبيدة عن يوم إضم «وآلُ مُزَيْقِياء وقد تداعت» إسلامية، وأنه قالها في فتح الشام. بل لماذا أجعلها في فتح الشام، فالمناذرة أيضا من آل مُزَيْقياء عمرو بن عامر الأزديّ؟[3]

* * *

ولعلّ أظهر ما يلفت من دراسة أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي أن صورة التحالف الحقيقي بين أسد وذبيان وطيّىء وضبّة لم يظهر في الشعر، حيث ظلّ شعراء هذه القبائل يتحدثون عن قبيلتهم، ولا يوردون التحالف. ولا أكاد أستثني الا ما ورد عن النابغة الذبياني، حيث رأينا فيه حلف ذبيان وأسد.

* * *

---

(١) ديوان المفضليات (شرح ابن الأنباري)، ١: ٧٣١.

(٢) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء (تحقيق دي جويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢)، ص ١٨٠.

(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ١٤٠-١٤٦.

المصـــادر والمراجـع

- ابن الأثير علي بن أبي الكرم:
الكامل في التاريخ، الطباعة النيرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- الأصبهاني، حمزة بن الحسن:
تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟
- الإصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي:
المسالك والممالك، تحقيق محمد عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة، ١٩٦٩م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:
الأغاني، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.
- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى:
أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م
- امرؤ القيس:
ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل:
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨م.
- ثعلب، أحمد بن يحيى:
مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢ م.

- جواد علي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦ م.

- حاتم الطائي:
ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ؟.
ديوان شعر حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟
ديوان حاتم الطائي، تحقيق علي العتوم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٤ م (مخطوط).

ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية:
المحبّر، تحقيق ايلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢ م.

- حسان بن ثابت:
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد ارحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م.

- الحلّي، أبو البقاء هبة الله:
المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكه ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤ م.

- حمد الجاسر:
شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠ م.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي:
صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:
تاريخ ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١ م.

- الزبير بن بكار :
الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ م .

- زهير بب أبي سلمى :
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ م .

- زيد الخيل الطائي :
ديوان زيد الخيل الطائي ، صنعة نوري حمودي القيسي ، مطبعة النعمان .

- ابن سعيد الأندلسي ، علي بن موسى :
نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨٢ م .

- سلامة بن جندل :
ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٦٨ م .

- الشلبي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله :
آكام المرجان في أحكام الجان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ .

- ابن الشجري ، هبة الله بن عبد الله :
مختارات شعراء العرب ، تحقيق علي محمد بجّاوي ، مكتبة دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

- ابن شدّاد ، عز الدين أبو محمد محمد بن علي بن ابراهيم الجلبي :
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٢ م .

- الشمشاطي ، علي بن محمد بن المطهر العدوى :
الأنوار ومحاسن الأشعار ، تحقيق السيد محمد يوسف ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

- ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه:
العقد الفريد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥م.

- عبيد بن الأبرص:
ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى:
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق بيفار، بريل، ليدن، ١٩٠٧م.

- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله:
المصون في الأدب، دار الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.

- عمرو بن شأس الأسدي:
شعر عمرو بن شأس الأسدي، صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦م.

- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل:
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ؟

- الفرزدق:
شرح ديوان الفرزدق، جمع وشرح عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦م.

- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم:
ذيل الأمالي والنوادر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:
الشعر والشعراء، تحقيق دي جوية، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٢م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد:
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب:
أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.
جمهرة النسب، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟.

لبيد بن ربيعة:
شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق احسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.

المرتضى، علي بن الحسين الموسوي:
أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧م.

المسعودي، علي بن الحسين:
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م.

- المفضل الضبّي:
المفضليات، شرح ابن الانباري، تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد مكرّم:
لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٦م.
- النابغة الذبياني:
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.
ديوان النابغة الذبياني، جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس ١٩٧٨م.
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٧م.

- نبيه عاقل:
تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م.
- النهشلي، عبد الكريم النهشلي القيرواني:
الممتع في علم الشعر وعمله، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ٩٧٨م:
شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي:
معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٧م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب:
تاريخ اليعقوبي، دار العراق، بيروت، ١٩٥٥م

- Doughty, charles M., Travels in Arabia Deserta, Jonathan cape, London 1927.
- Hitti philip, History of Syria, Macmillan & co L T D, London, 1935.
- Huart, Cl., Histoire des Arabes, Libraire Paul Geuthner Paris, 1912.

نولدكه، ثيودور، أمراء غسان، ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣م.

- O Leary, Arabia Before Mohammad, Kegan Paul, London, 1927.